

جولة في إحدى وعشرين دولة آسيوية

تأليف

إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

الطبعة الأولى

٢٠١٠م / ١٤٣١هـ

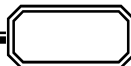
حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى / م

إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق،

ح

الملك الو. اتناء النشر





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [٣٩].

جرت حكمة الله في هذا الكون أن تصطم المتضادات، وأن تتعارض نضات، فتعترك اعتراك التنافس والتضاد، فالنور ضد الظلام، والخير في الشر منحى آخر، ومن ذلك الحياة والموت إلى آخر ما عليه سنن الله في الكون في القديم والحديث ومن هذا انبعثت الأعمال.

تكن أعوجاً فقال الخصم وهذا من صالحك لولا اعوجاجي لما نصبت قاضياً تعدل الاعوجاج، خلص من هذا أنني أصبت في نهاية العقد الثاني من سني العمر بأمراض اعترتني جعلتني أبحث عن الشفاء خارج موطني، إذ لم يكن فيه علاج فاخترت لبنان فكان نعم المضيف وبئس العارض استوجب ملازمة السرير الأبيض عاماً كاملاً متواصل الأيام والشهور ونصف العام في مراجعات وفحوصات فالحمد لله برأ الداء ونفع الله بالدواء، وكان هذا العارض نقطة انطلاق لجغرافية الأرض على مدى ستين عاماً طوفت سبعاً وخمسين دولة لا للاستشفاء ولا لغرض غير إرواء رغبتني في التجوال فكان ذلك برأ وبحراً وجواً^(١) لا أنسى موج بحار المحيط الهندي حين تلاطمه ثمانية أيام من منبي إلى المنامة بالبحرين بلغت الروح الحنجر ثلاثة أيام لم نطمع بقيت هذه الرحلة في مخيلتي وهي درس من دروس الحياة الذي لا ينسى وهكذا يمضي نصف قرن من بداية الرحلة الأولى إلى لبنان عن طريق الكويت ثم توالى الرحلات في هذه الحقبة الدهرية واليوم وقد تجاوزت السبعين من العمر أحرر أوراقي وأجمع شتات مذكراتي لأكتب لك أيها القارئ جولة في إحدى وعشرين دولة هي: الكويت، لبنان، سوريا، الأردن، البحرين، قطر، عمان، الإمارات المتحدة، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، حينما كان الجنوب دولة هذه دول عربية باستثناء المملكة العربية السعودية لم أضمنها كتابي هذا يلي تلك الدول دول آسيوية غير عربية هي الباكستان، الهند، سيلان، جزر مالديف، بنجلاديش، أندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، تايلاند، الفلبين، إيران، فهذه إحدى وعشرون دولة. أما دول أوروبا وإفريقيا فلها حديث آخر. ومن وقائع الأحداث وغريب الموافقة أنني أحرر هذه المقدمة في شهر شعبان ١٤٣١ هـ وفي لبنان إذ هي مركز التنقيف ومنازة الإعلام ومع ذلك فإنني لم أزد على مذكراتي السابقة في الرحلة الأولى له عام ١٣٧٩ هـ فهل أنا بهذا أهدي إلى القارئ الكريم نفائس أنفاس العمر وخطفة ومض في آفات الكون راف عسى أن لا أكون سبة لقارئ أو شماتة لناقد حين لا يعجبه ذلك.

د استشهدت صدق حديثي بصور فوتوغرافية هي شاهد على ما مضى

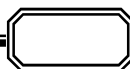
وفيهما قلت:

() وعدد من الدول في مهمات رسمية.

يا رسم حسنك في الشباب
إن الحياة حوادث وممات
الدهر ينطق والشواهد عدة
من كان يطمع في الحياة مؤبدا
فدع الحياة فإنها غرارة
الآهات

إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

١٤٣١/٨/٢٨ هـ



(١) الكويت

في شهر ربيع الأول عام هـ، وفي أول جمعة منه؛ يخطب الخطيب في ذكرى الهجرة النبوية في حكاية رحلة برية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة مع \$ من أذى قريش ومكرهم مستشهداً بقوله تعالى: ﴿

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾ [:] وهكذا نسد طيب خطبته بذكرى هجرة

انتهدت الخطبة والصلاة حتى وقف ابن نجد وتلميذ الدعوة السلفية ليقول كلمته حول لخطبة، إذ أن الخطيب لم يقل السبب الصحيح؛ والحكم الشرعي في الهجرة ومشروعيتها وبقائها إلى أن تطلع الشمس من مغربها، ولم تطب نفسه إلا أن يبرئ ذمته ويقول كلمة الحق وإن سخط من سخط، وقف عقب الصلاة خطيباً ليقول:

سبب الهجرة؛ عدم قدرة المسلمين على إظهار دينهم ف رسوله \$ بالانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وقد عنف القرآن من لم يهاجر مع قدرته على الهجرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ [:] .

هكذا صورة ما حدث في أول جمعة وفي مجمع كبير، قام هذا الشاب النجدي والمتأصل في معتقده ما عليه علماء بلده كل دولة لا تحكم الشرع فهي دولة كافرة، يجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام؛ ما لم يكن هناك موانع شرعية؛ أو صوارف دولية؛ أو حواجز سياسية بتحديد الهوية والجنسية.

حوار ونقاش:

تفرق الناس وأخذ السرعة منصرفين غير مكترئين بما قاله المعقب والمذكر عقب خطبة الإمام وصلاته، غير أن فتية أربعة يلبسون البدلة الإفرنجية مخلوق اللحي والشوارب؛ أبدوا تقبلاً وقبولاً لما قاله المعقب واحتضنوه بحرارة وقابلوه بحماس مشجعين مؤيدين قوله وحكمه.

بدأ الحوار من القوم قالوا كانوا من فلسطين: لا أرى عليكم زي المواطن

كلام غريب؛ وحكم أغرب؛ كيف يصدر هذا التعليق ممن ليس عليه سمة العلم ولا مظهر الديانة، السؤال لهم: ما هي حرفتكم؟ وأي عمل تمارسونه في الكويت؟ : نحن أصحاب ملحمة، فرد عليهم السائل:

أحدهم: أصحاب مجزرة لبيع اللحم؛ سبحان الله في ما نعهده أن أرباب المجازر ومن

يدعون بالقصابين؛ هم من أصحاب الحرف التي تقلل من أهمية صاحبها في المجتمع والمكانة؛ حتى قال من قال بكراهية الصلاة خلف الجزار لأن حرفته ليس فيها شرف، وحري أن يكون في ثوبه دم أو طشاش منه، وفيما قيل:

: جندي وطبيب وجزار.

تم سياق هذا الحديث معهم في وقفة سريعة عاجلة وهم يعرضون الدعوة بشرب الشاي أو تناول بارد سريع، يعتذر لهم ويتم عقد موعد ولقاء فيه يتم الحديث والنقاش فيما يرونه حول ما تم الكلام عليه عقب صلاة الجمعة في حكم الهجرة؛ خلاف ما كتبه الخطيب أو تخرج في إبدائه وإعلانه، فانصرف الجميع إلى موعد آخر ولقاء

لقاء آخر:

تم اللقاء وفق الموعد المحدد؛ فإذا هم يقدمون هدية من كتيبات في طباعة حسنة؛ وهم يقولون: بهذه الكتب ندعو الناس إلى تحقيق مضامينها؛ تم إلقاء نظرة بعد

المؤلف هو الشيخ تقي الدين النبهاني، أما العناوين فهي: الحكومة الإسلامية، النظام الإسلامي، أسلوب العمل لقيام الدولة الإسلامية، سياسة الدولة في التعليم، الاقتصاد، العلاقات الخارجية، إلى آخر العناوين المتضمنة لتلك الكتيبات. أعود لأقول لهم بصراحة: إن النبهاني هذا هو من مناوئي الدعوة السلفية في بلادنا، رد عليه مشايخنا، ولكنه قد مات وأفضى إلى ما عمل. كان الكلام مفاجئاً بصراحته ووضوحه، قال الجميع: لا، لا هو موجود وهو

تم البحث بعد التعارف وانهينا على أن نلتقي مرة أخرى حيث أفادوا بأن انتماءهم حزبي؛ يقوم على دعوة الناس إلى إقامة الخلافة الإسلامية، هذا الحزب يدعى بحزب التحرير الذي تأسس عام ١٩٧٩ هـ في فلسطين. عدت مرة أخرى لأتصفح محتوى هذه الكتيبات فقلت للصحة: طريقتنا في التعلم هو اقتناء الكتب الدينية؛ والتي تبدأ بنصوص من الكتاب والسنة تحت أبواب واضحة معبرة تترجم مضامين الآيات والأحاديث كما في صحيح البخاري ومسلم، أما كتبكم هذه فإنها مجموعة أفكار ترسم نظاماً بأسلوب المؤلف؛ لا يستشهد ولا يستدل بأحاديث على ما كتبه وحرره، فالأسلوب الإنشائي هو أسلوب يعتمده العصريون؛ الذين يأخذون بمضامين النصوص من غير إشارة إليها ولا استشهاد بها، وعلى كل فأنتم بدعوتكم هذه تقيمون الحجة على من لا يحكم شرع الله في أرض الله ولا سيما ممن أقرهم الله، وإنما تتكبوا ذلك جهلاً أو تجاهلاً بالأحكام الشرعية. حملت ما أهده لي من كتب ظلت معي أرددتها وأكرر قراءتها، لا أدري هل سيكون لهذه الكتب صدى في أجواء العالم الإسلامي والذي أصبح تحت السيطرة والتأثير الغربي، وهل مثل هذه المجموعة التي لم تأخذ الإسلام في شعاره ديناً، وإنما اختارت قيام الدولة كيف يصح هذا؟

ولعل ما خفي من معتقداتهم أطم وأعظم فإننا لله وإنا إليه راجعون، وبهذا ضاعت الخلافة وضاع الخلق بضياح الشعائر والشرائع، انتهى ما أردت تحريره في زيارتي الأولى للكويت عام ١٣٧٩ هـ، والله أعلم. أمضيت خمسة عشر يوماً في الكويت في حرة اللطى ضيفاً على أحد معارفنا السعوديين من أهل القويعة، كان تاجراً بالرقيق قبل التحرير، وكنت أعجب من تأثر أولاده بالبيئة الكويتية حيث يسمون الثوب بالدشداشة، والجح الرقي، واستعمال الإمالة بقولهم بدل هنا (هنيه) وياه للعجب؛ ومولي كلياً؛ وجاؤوا: ياؤوا، وكان سفري من الرياض إلى الكويت براً بطريق ترابي لا يعرف الأزفلت متراً ولا شبراً، مررت بقرية الحد الجمركي بين

الدولة السعودية والكويت، وقد سمعت قولة من قال في هذه القرية: ماء هماج وجو

كانت مدة الرحلة البرية من الكويت أربعة أيام بالسيارة الوנית؛ الذي لا يتأبى سائقه من الطرق الوعرة والمسالك المخيفة؛ ولكنها آمنة بأمان الله؛ بحكم الله الشرعي؛ وقوة الدولة الصارمة، وقد كانت قرية تابعة لإمارة الأحساء بالمنطقة الشرقية، وأميرها آنذاك الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي - رحمه الله .

الرحلة الثانية للكويت عام ١٣٩٠هـ

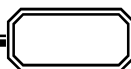
في هذا التاريخ وقبله بسنوات وبعده، ظهرت طلائع الحركات التنظيمية على شكل جمعيات وأحزاب ومنظمات استهدفت دول الخليج وبالذات الكويت، والذي انقض عليه من سوريا ولبنان وفلسطين رجال الأعمال وأرباب الحرف مختلفو الصنائع، فالحركة القومية كانت تأخذ طريقها الرسمي والشعبي ولسانها ((مجلة العربي)) رئيس تحريرها الدكتور أحمد زكي؛ والأبواق المصرية الناصرية تنفخ في صور القومية العربية؛ حتى كاد العرب أن ينسوا رابطة الدين الإسلامي بين الشعوب والأمم المتناثرة في أرجاء المعمورة، وكانت الجامعة العربية في أوج نشاطها آنذاك؛ ومن فصيلة القوميين العرب الأحزاب السياسية كحزب البعث السوري ونديدته العراقي؛ تمكن حزب البعث من نفوذه في صفوف الشبيبة السورية، ومنهم تأثر شباب الكويت، غير أن من تتلمذ في جامعة الأزهر ومارس أعمالاً تتناسب وفق دراسته وتخصصه؛ كالخطابة والإمامة والقضاء الشرعي في الأحوال الشخصية والانخراط في صفوف موظفي الدولة وبخاصة جهاز الأوقاف والشئون الإسلامية أظهر استياء من ممارسة التكتل الحزبي أو التنظيمي المناوئ للخط الإسلامي مناوأة صريحة، فأثاروا فكرة التنظيم الإسلامي المدافع عن الإسلام ولإظهار مثله وتنظيمه، كما أن عامل الإثراء والانفتاح الكلي على الخارج كان من أهم العوامل التي دعت إلى إيجاد عمل إصلاحي إسلامي يأخذ طابعه الرسمي والشعبي، فكانت (جمعية

جمعية الإصلاح:

جمعية شعبية إسلامية تنظيمية؛ تم الاعتراف بها من قبل الدولة الكويتية فكانت الأولى من نوعها في الدعوة والإصلاح، وأصدرت الجمعية ((مجلة المجتمع)) وهي مجلة أسبوعية تنطلق باسم الجمعية، وأبرزت هذه المجلة واقع العالم الإسلامي كواقع جريح؛ يفتقر إلى إعادة النظر في إصلاح الجوانب التي يفتقر إليها المسلمون في السياسة والاقتصاد والمجتمع، ذلك أن عواطف المسلمين تهبوا إلى الشعائر الدينية؛ وتتطلع إلى لسان ينطق باسم الإسلام في مجال الصحافة والإعلام، فكانت المجتمع كذلك، وقد لا نبالغ في القول إذا قلنا: أنها هي مجلة إسلامية في المحيط العربي ولا زالت تدافع عن الإسلام فتثير قضايا المسلمين ومشكلاتهم؛ إثارة تدعو إلى الإصلاح والتنبيه للغزو الغربي أو الشرقي لمقومات العالم الإسلامي ديناً واقتصاداً وسياسة، فنادت جمعية الإصلاح بإصلاح ما أفسده القوميون والبعثيون، وكان لهم كلمتهم في المجتمع والدولة، وجوانب الإصلاح التي اعتمدها الجمعية كثيرة متعددة؛ فليس محصوراً في الدفاع فقط والعرض والإيضاح، وبرنامجهم الدعوي تعدى إلى المشاريع والمنشآت الخيرية في العالمين العربي والإسلامي؛ فهي جمعية إصلاحية بما تعنيه هذه الكلمة من شمول في الكويت وخارج الكويت جزاهم الله خيراً، وقد تتعثر في مسيرتها لمواقفهم الصلبة ودفاعهم القوي عن الإسلام من هجمات العلمانيين واللادينيين؛ من أرباب الأفكار المستوردة والمنظمات الدخيلة على المجتمع الكويتي.

ثلاثة لا ننسى ذكرهم:

: الشيخ عبدالله الصالح المطوع رئيس جمعية الإصلاح.



ثانياً: الشيخ عبدالله بن عقيل، مدير عام بوزارة الأوقاف.

: الشيخ عبدالله السبت مؤسس جمعية الـ

ولمعت أسماء هؤلاء الثلاثة في داخل الكويت وخارجه؛ لما لهم من اهتمام واضح وتضحية فذة في سبيل الدعوة إلى الله - .

فجمعية الإصلاح قامت على سواعد هذا الرجل الصالح ((المطوع)) اسماً وضمناً، أما وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فكان الشيخ عبدالله العقيل؛ خريج الأزهر؛ سعودي الجنسية؛ زبيري المنشأ؛ والناطق باسم الإخوان المسلمين؛ هو الآخر عاملاً من عوامل الإصلاح فيما تقدمه الوزارة من نشاط دعوي داخل وخارج الكويت، وظل كذلك حتى انتقل عمله إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

: وزير الدولة السيد هاشم الرفاعي فهو سيد ينتمي إلى الطريقة الرفاعية وراثه ونسباً وله جهود مشكورة في محاربة الاختلاط والسفور في التعليم والمجتمع، وله شعبية تفوق من قبله ليس في الكويت فقط بل وخارجه، وقد نشط في الأونة الأخيرة في التجوال في دول آسيا كالهند وسيلان وأندونيسيا؛ معلناً طريقته الرفاعية وممارساً النشاط الصوفي من غير مصادمة بالاتجاهات الأخرى، وهو صديق لكل من يمد له يده أو يشرح له صدره، حدث أن كنت بزيارة إلى بيته؛ فوجدت عنده الشيخ عبدالغفار عبدالستار الدهلوي أمير جمعية غرباء أهل الحديث في باكستان، وكذلك رجلاً مصرياً ينتمي لأنصار السنة المحمدية في مصر فتعجب الرفاعي من تواجد الوهابية من نجد والباكستان ومصر؛ في بيت رجل صوفي ينتمي إلى الطريقة الرفاعية المشهورة بمخالفتها ما عليه السلفيون أو الوهابيون بمعنى أدق.



الشيخ عبدالله السبت

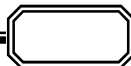
أحد مؤسسي جمعية التراث وواضعي حجر الأساس لها، لعل من بواعث تأسيس هذه الجمعية ما أسفرت عنه جمعية الإصلاح من توجه دعوي ينحو نحو حركة الإخوان المسلمين ونجاحها في عرض الدعوة عرضاً عصرياً يتواءم وحاجة المجتمع فكانت فكرة جمعية تعرب عن منهج السلف بنفس الخطوط والمنطلقات الخيرية وعرض المعتقد السليم بأسلوب عصري ومنهجية واضحة، الفضل للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق شيخ الجمعية والمرجع لها فيما ألفه من كتب ودراسات أسفرت من قناعة الكثير من شباب الكويت على المضي قدماً عن قناعة ويقين بنجاح هذا المنحى الدعوي وضرورة تفعيله حتى كان لها الدور السياسي في الدولة فقد د مشادة ونقاش حول جواز الانضمام للبرلمان، وللشيخ عبدالله السبت آراؤه الفردية مما جعله يتوجه إلى الشارقة ليقوم نشاطه الدعوي وفق قناعاته غير التنظيم الذي أشبه بالحزبية وإن كان باسم الجمعية، ومع هذا فهو على صلة بإخوانه وتعاون غير مباشر، زرت الشيخ عبدالله في الكويت وزارني في البيت وأقمت معه طويلاً في الشارقة عرضت عليه مشروع إحياء السنة وإماتة البدعة بإصدار ثلاث مسلسلات

- التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة

- عيون الرسائل والمسائل

- أعلامنا في سجل التاريخ

اعتذر الشيخ عبدالله السبت وقال: هذه الدعوة سلفية تقليدية أردنا أن ننشر والتراجم ليس هو الركن الأهم لإحياء منهج السلف وقد يفهم من هذا من تحديد علماء نجد إنها دعوة إقليمية ومركزية على أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذته فيرى الشيخ عبدالله أن السلفية أشمل في أقطارها وأعلامها وإنتاجها العلمي، ظلت صلتني بالشيخ عبدالله مهاتفة ومراسلة إلى ما قبل عشرين عاماً وتبقى المودة والأخوة



وممن عرفت في الكويت

السيد / هاشم الرفاعي

رجل الدولة والدعوة من الكويت

هـ كنت في الكويت، وهي البلد التي تكررت زيارتي لها منذ

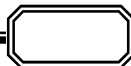
هـ غير أنه لم يكن هناك اتصال بأحد.

وعلى هذا برزت شخصيات تدافع عن الإسلام وقيمه وتعاليمه، ومن أولئك السيد/ الرفاعي حيث كان له من المركز ما يخوله أن يقول فيسمع قوله، فقد كان وزير دولة، وزعيم طريقة صوفية، وينتسب إلى البيت الشريف وذا ثروة، وقد وهبه الله ذلاقة اللسان وحسن الأخلاق والأدب الجم حتى مع خصومه ومن ليس على منهجه، فقد برز في محاربة الاختلاط بين الجنسين في التعليم، وكان له دوره الإيجابي في الحد من تفسخ المرأة الكويتية وانحلالها.

اجتمعنا في بيته، وهو قصر مشرف، غير أنه اختار لمجلسه غرفة ضيقة خافتة الضوء، فتوهمت أنها زاوية من زوايا الذكر التي يتخذها أرباب التصوف، وكنا ثلاثة، فعجب لنا السيد هاشم فقال: عجبت من هذا الاجتماع الذي ضم وهابية نجد، وسلفية باكستان، ومن أنصار السنة في مصر عند رجل صوفي ينتسب إلى أهل البيت.

فأما وهابية نجد فيعني به كاتب الأسطر، أما سلفي باكستان فيعني بها أمير جماعة غرباء أهل الحديث الشيخ عبدالغفار بن عبدالوهاب الدهلوي، والثالث من مصر من أنصار السنة المحمدية، وكلاهما جاء لطلب الدعم والمساعدة على مشاريعهما في بلدانهما، أما الوهابي النجدي فقد زار السيد هاشم وقد نالوا جميعاً ما أمّلوه وطلبوه، فكان في نفسي أن هذا الرجل رجل قيادة ودعوة لولا مسلكه التصوفي

هدأت الأحوال والتصادم بين أصحاب المبادئ في الكويت، فاتجه الشيخ هاشم إلى دول آسيا ليعلن طريقته، ويتفقد مريديه في الهند وباكستان وفي سيلان وأندونيسيا، وقد اجتمعت به في باكستان في مؤتمر السيرة النبوية، وألقى كلمته في المؤتمر، وكان يحف به جمع من أرباب التصوف والابتداع، وتبادروا إلى تقبيل يده وتمجيده، وكان الأمر أهد له لينفوق الشيخ هاشم عن بقية المشاركين في المؤتمر، وكان له منافس آخر في النسب الشريف ممن دُعي إلى مؤتمر السنة وهو السيد العطاس ممثل رابطة العالم الإسلامي، ولكنه ليس بذلك المدعى ولا بذاك المتزعم فلذا خلا الجو للسيد الرفاعي وأخذ منصة الشرف في المؤتمر، لم يقتصر السيد هاشم على إعلان دعوته بالطريقة الرفاعية، ولكنه يلمح إلى الدعوات الأخرى والمناهج المتباينة، إلا أن صوفية الهند تختلف كل الاختلاف عن الطريقة الرفاعية، ففي الهند الأربع طرق التي يبايع عليها علماء (ديوبند) القادرية والنقشبندية والجشنية والختمية، وليس للطريقة الرفاعية ما يستوجب الذكر فضلاً عن التبعية غير السيد هاشم صاحب الثروة والأيدى المعطاءة في مساعدة المدارس والهيئات الإسلامية التي جعلت له في القلب منزلة واحتراماً واكتفوا بحشد الطلاب والجمهير في استقباله وتوديعه بل ربما أوجدوا الطبول والأعلام والأنشيد في مديح النبي ﷺ، وقد اعتزل السيد هاشم الرفاعي السياسة بعد أن كان وزير دولة، وظهر في الكويت دعوتان تحملان مبادئ وغايات. الأولى: وهي الأسبق جمعية الإصلاح الإخوانية سياسية حركية. والأخرى جمعية التراث سلفية تدعو إلى التوحيد وإلى العودة إلى ما عليه السلف الصالح، وبجانبيهما يتضاءل نشاط الرفاعي، ولعله إلى الأولى أقرب مع اختلاف في المشارب والغايات.

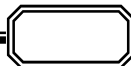


جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

والله ولي التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .



الشيخ إسماعيل بن عتيق في الكويت



(٢) عام في لبنان

جرت المقادير ونفذ القضاء بإصابتي بأوجاع استدعت سفري إلى لبنان عام ١٩٥٤؛ وفي مصح هملين في قرية حمانا بلبنان كان مهجعي لمدة عام أتقلب من والآمال مع الغربة والحاجة وافتقار الحال؛ إلا أن الثقة بالله كانت أكبر عون على يقيني وصبري بما قدر الله ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ [:] .

وقد اكتسبت في هذه الرحلة معلومات عدة من نواحي دينية واجتماعية بل وسياسية؛ ولبنان آنذاك سوق رائجة لكل دعوة أو دعاية، بل هي البلد الحر الذي تمارس فيه شتى الأنشطة على مختلف الطوائف والأحزاب والمذاهب والاتجاهات؛ فكان دور الإعلام الحر بالصحافة والكلمة والكتاب دوراً يأخذ بالألباب؛ إلا أن الله لطف فقد كنت ولا زلت والحمد لله أنحو نحو المتجه الأسلم؛ مع الحذر الشديد من الاندماج الكلي مع بعض من عرفته في تلك الرحلة المرضية القسرية؛ في بلد اختلطت فيه الديانات والاتجاهات حتى لا تستطيع أن تصنفها تصنيفاً دقيقاً؛ ولكن باختصار كانت الديانة النصرانية بشتى طوائفها لها دور بين أسرة المرضى والفقراء وبالذات المستشفيات التبشيرية كهذا المستشفى؛ ويليهم في الخطورة المذاهب المنتمية للإسلام كالدرزية والشيعة ويدعون بالمتاول. وهم طوائف شتى. أما الإسلاميون فالاختلاف بينهم أمر طبيعي فكرياً وعقائدياً وسياسياً وجزبياً؛ مما يستوجب الشقاق والنزاع بين تلك الاتجاهات الإسلامية كحزب التحرير والإخوان المسلمين ومن ينحو نحوهم؛ وكذلك القوميون العرب لهم دور في الت .

القسيس البروتستانتي الأمريكي:

وقفة مع القسيس البروتستانتي الأمريكي والذي يتردد كل يوم أحد على المرضى؛ ويدعى كروكن يحمل هدايا من الورود والحلويات ومعه الكتاب المقدس (الإنجيل القديم والجديد).

لقد تكرر نظري إليه من غير أن ندخل معه في النقاش والجدل الديني؛ ولكنني ملزم بأخذ ما لديه واستماع ما يقوله فهو ركيزة من ركائز هذا المستشفى التبشيري، وبتكرار الزيارة واللقاء مع هذا القسيس جرى البحث والمناظرة؛ زعمتم أن الله ثالث ثلاثة؛ الأب والابن والروح القدس إله واحد فهل أنت ابنك وابنك أنت؟ وهل كان الله واحداً قبل وجود عيسى؟ ثم كان ثلاثة بعد وجوده؟ وهل العبادة للرب الواحد أم الثلاثة؟ وهل كانوا يشتركون في الصنع والإماتة وتدبير الكون؟ هذه أمثلة من أسئلتني التي وجهتها للقسيس كروكن الأمريكي مما جعله يأخذ الحيطة ويعاملني بحذر ويتوقف عن البحث والجدل في الدين؛ ولكن يقدم هدايا، ويعرض سيرة المسيح الذي افتدى البشرية بدمه؛ وهو يحب الإنسان، وكل إنسان يحبه؛ وعلى هذا ديدن القسيس الأمريكي، ولا يزيد على أنه يحب الناس للمسيح لأن المسيح يحبه مع تقديم كتيبات ونشرات للمرضى الراغبين، كانت صلتني بالقسيس سطحية للغاية؛ فقد خشي أن أثير ضده المرضى من العرب وخاصة من عرب الجزيرة وهم كثر من قطر والإمارات والبحرين.

عراقي يطلب من القسيس:

لقد طمع القسيس في مريض عراقي أن يقوم بدور الترتيل يوم الأحد في كنيسة؛ على أن يلبس سلسلة الصليب ويتقدم للمنصة للترتيل والترنم بما يسمونه الصلوات

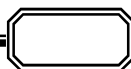
يوم الأحد؛ فأظهر أنه على أتم الاستعداد لتوجيهات القسيس ولكن بشرط: تضاجعه البنت سعاد وبأمر من القسيس؛ والبنت سعاد ممرضة تابعة للمستشفى وهي الأخرى مبشرة؛ فوافق القسيس على الطلب ووعد بإلزام البنت بمضاجعة المريض أي وقت يرغبها؛ فلما تأكد العراقي من صدق القسيس وجديته في الأمر تنكر له وقال: أنت رجل دين البعيد ديوا وجرار؛ كيف تزعم أنك تحمل أمانة الدين وأنت ترضى بنات الناس فعل الفاحشة التي ياباها الإسلام وتآباها النصرانية؟ أي دين هذا؟ ثم كيف تطلب مني أن أتقدم بالتراتيل وأنا لست من النصارى؟ هل تكون هذه عبادة لشخص لا يدين بها؟ أم هي تسلية وطرب باستماع الموسيقى والترانيم فكان موقف القسيس موقف المخرج الذي سقط في يده؛ مما جعل العراقي يعلن للناس خبث قصد هذا القسيس وإفساد المرضى؛ بل زاد على ذلك بأنه ليس رجل دين وإنما جاسوس للغرب بدليل أنه يتجول في كثير من الدول العربية، وقد ذكر القسيس أنه كان في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ولديه أفلام سينمائية يزيد عمرها على أربعين سنة؛ فكان فرصة السعوديين لمشاهدة هذا الفيلم عن المملكة وهو فيلم تاريخي مما جعل القسيس يستأنف نشاطه بعرض الأفلام على

مع الفيلم التاريخي:

لقد وعد القسيس ووفى بوعده بعرض هذه الأفلام السينمائية على المرضى جميعاً؛ وهي تحكي حالة المملكة عام ١٣٤٠ هـ بالتقريب؛ فقد عرض مدينة الرياض ومبانيها القديمة وكيف كان الري عندهم بطريقة السواني؛ وكيف تجلب المياه للبيوت بواسطة السقائين على الحمير، كما استعرض صوراً للملك عبدالعزيز وأبنائه حال فتوته وقوته؛ مما جعل السعوديين يستنكرون على القسيس لعرضه هذه الصور القديمة والتي أصبحت أثراً؛ وهددوا القسيس بسحب الفيلم وتكسيهه إلا إذا كان لديه تصريح من الجهات الرسمية تسمح له بعرض هذا الفيلم؛ فما كان من هذا القسيس إلا أن عرض على الشاشة نص التصريح بتوقيع الوزير الأسبق عبدالله بن سليمان ووزير الملك عبدالعزيز؛ مما جعل السعوديون يتراجعون عن ما عزموا عليه ويطلبون من القسيس عرض أفلام أخرى عن تطور المملكة العمراني؛ فلبى القسيس فوراً عرض أفلاماً حديثة عن نهضة المملكة في شتى المجالات العمرانية والتعليمية مما جعل السعوديين يرتاحون بعض الارتياح، ومن هذا وأمثاله ندرك أن هؤلاء القساوسة هم تحت مظلة عالمية تخطط لهؤلاء باسم الدين والمسيحية ليقوموا بعدة أدوار؛ ومن أهمها: التجسس ورصد المعلومات؛ مع تشكيك أو تخريب الاتجاه الديني السليم؛ وربط الناس بالغرب وإظهار حضارته وقدرته وخدمته للإنسان؛ حسبنا الله ونعم الوكيل؛ اللهم اجعل كيدهم في نحورهم.

مع الشيخ فارس الدرزي:

لقد صادفت إقامتي في المستشفى صحبة الشيخ فارس؛ ولا أستطيع وصف ذلك بنظراته المريية وشكله المرهب؛ فلحيته تقترب من سرته؛ وشواربه عشرات السننات؛ مفتول قوي طويل القامة مرعب في منظره؛ ومظهره، دائم الصمت؛ يلبس السروال الواسع الفضفاض باللون الأسود وربما تعمم أحياناً؛ كان هو الآخر مريضاً

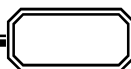


يشكو من داء السل، لقد دنوت منه من غير أن أعرف أنه من الطائفة الدرزية وأ حينما حان وقت الصلاة طلبت منه أن نصلي جماعة فقال: قد صليت؛ قلت: متى فقال: وأنا على سريري؛ إن الصلاة صلة روحية تربط العبد بربه ولا حاجة لهذه الأعمال التي تصنعونها من الركوع والسجود، هذه صلاة الجهال والعامه؛ ومن هنا الرجل ذو فلسفة وديانة ولكن ما هي؟ فسألته: على أي مذهب أنت؟ فقال: محمدي؛ بقيت مع الشيخ فارس على صلة طيبة كصلة العربي بالعربي ولكنه يرفض الحديث عن الدين إلا أنه ذات يوم أسر لي بسرته وقال: لقد كدت أصل إلى درجة شيخ العقل؛ غير أن وجود سبعة من أولادي كانت حاجزاً ومانعاً من الوصول إلى هذه الدرجة من الرتبة في الديانة؛ فتلطفت له هـ: بهذا المظهر المهيب والتعبد السري؟ فقال: أما المظهر فهذه عادة جماعتنا؛ وأما التعبد السري فمذ الطفولة وأنا الآن أبلغ أربعين عاماً؛ فسألت الله العافية يضلنا بعد إذ هدانا.

مع الدكتور المسلم الكردي الحزبي:

ممن تعرفت عليه الدكتور الموصوف بالصفة أعلاه من حزب التحرير، كان قوة وحماساً وتوقداً على نهضة المسلمين وضرورة الخلافة الإسلامية فقد ضاع المسلمون بضياهاها؛ سمعت حديثه واستمعت لأفكاره وتسلمت كثيراً من منشورات الحزب السياسية وبواسطته تعرفت على مكتب الحزب في بيروت، وقد كان لي مع هذه الجماعة موقف سجلته في زيارتي للكويت ولقائي بهم لأول مرة، أما هذا الدكتور فهو من العناصر القيادية في هذا الحزب؛ وهو طبيب ماهر يقف ضد القومية العربية والحزبية الاشتراكية موقف الجاد والصارم والواضح من عداوته؛ رغم وجود الوحدة السورية المصرية ورغم الدعايات بزعامة عبد الناصر؛ كان صريح الهجوم على عبدالناصر بالذات وعلى الوحدة القومية وكان يعلن مبادئ الحزب في كل مناسبة؛ والحزب كما هو معروف سياسي مشبوه أسسه تقي الدين النبهاني وهو فلسطيني وذلك عام ١٣٧٠ هـ لغرض قيام الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية؛ ومما يلفت النظر دقة المعلومات التي تصدر من هذا الحزب مما لا يمكن الحصول عليها إلا بواسطة مخابرات عالمية وتنظيم سري؛ وكان الحزب هو أول من يفصح تلك الاتجاهات السياسية وبالذات في الدول العربية وبالأخص لعبة عبدالناصر بين القومية والاشتراكية؛ ولقد زرت مكتبهم في بيروت ذات يوم فوجدت شباباً ذا حماس يحملون هواية الجدل والمناظرة لمن زارهم أو تحدث معهم حول الخلافة ونظام الحكم الإسلامي؛ وكنا كذلك في الحديث معهم شحذاً للأفهام وزيادة في المعلومات إلا أن ضربتهم اللازمة تتجه إلى المملكة العربية السعودية فكانها الخصم الألد لتوجهات الحزب لأنها زعيمة المسلمين؛ أو هي التي تمثل دور الإسلام في الحكم، وكان مبدأ الخلاف في تحديد أو تعيين الملك أو الخليفة؛ حيث كان من مبادئهم أن الخلافة والحكم لا يكونان إلا بالشورى واتفاق أهل الرأي كما هو في عهد الخلفاء الراشدين

وأجابتي على هذا تتبع سيرة التاريخ من بعد الخلفاء الراشدين؛ فالدولة الأموية انتصرت بالقوة وأخذ الحكم وبائع العلماء والمسلمون الحاكم الأموي كخليفة وإمامة عظمى للمسلمين؛ ومن بعدهم الدولة العباسية كانت كذلك انتزعت الحكم من بني أمية، ومثلها الدولة العثمانية، هل كان ذلك بالشورى أو الانتخاب؟ وقل في الدولة السعودية ما قلته في الدول قبلها؛ وبتوافق العلماء أن الحاكم إذا اغتصب الحكم واستتب الأمن والاستقرار فله البيعة، وحكمه وإمامته شرعية، ولكن القوم أصحاب



هوى؛ وقد اختلط عليهم الحكم الإسلامي ومبادئ الديمقراطية التي تحكم آراء الشعوب بصرف النظر عن أحقية ما يطلبونه فهم الجهة المشرعة ولو فيما حرم الله، ولهذا كان الحزب محل اشتباه وتشكيك في اتجاهاته السياسية. وقد غلا بعضهم وزاد أن صلاة الجماعة وإقامة الشعائر الدينية الظاهرة لا تكون إلا بوجود الخلافة والإمامة العظمى والتي تمثل جميع مظاهر الشرع في الحدود والحقوق وهو قليل؛ وقد يكون هذا من ملتزمات مبادئهم ولم يفعله أحد؛ نرجو أن يكون كذلك.

أعود إلى الدكتور الكردي والذي لا أنسى فضله وجهوده في مواقفه الصارمة ضد الكنيسة والمبشرين الذين يلزمون العمال من الفلسطينيين أو السوريين ممن يعملون في المستشفى بدخولهم الكنيسة يوم الأحد للصلاة والدعاء، وارتباط مرتباتهم أو تشجيعاتهم على المواظبة والمحافظة على الصلاة في الكنيسة يوم الأحد، لقد انبرى هذا الدكتور للقساوسة، وأعلن حربته عليهم بالكلام وإن لم يتحقق ما يريد فسيحمل عليهم حملة الغضب وإن لجأوا إلى الغرب، كما قام بتجميع المسلمين في المستشفى بإقامة صلاة الجمعة، وإلزام المستشفى بتهيئة مكان مناسب للصلاة؛ وكان كاتب الأسطر هو الإمام لصلاة الجمعة فترة إقامتي هناك، الدكتور الكردي متحمس للغاية لمبادئ حزبه وتوجهاته السياسية، وكان في شدته وحدته بل وشجاعته الأثر الطيب بين صفوف المرضى من المسلمين وبالأخص من دول الخليج العربي؛ كان صديقاً وفيّاً ومحباً صادقاً لما أبداه من تحمس للدعوة إلى الله بصرف النظر عن توجهاته السياسية؛ وقد أفدته في كثير من المفاهيم في التوحيد والعقيدة ومحاربة الشرك والبدع وهم لا يختلفون في هذا وإن كان زعيمهم النبهاني وسلفه لهم بعض التوجهات العقيدية المخالفة لمنهج السلف غير أن الحزب لا يهتم بهذا؛ وليس من دعوتهم تصحيح العقائد أو الإيمانيات وإنما الخلافة فقط والحكم الإسلامي هو ما يهدفون إليه؛ وهم بذلك يمكن أن يلتقوا بأي مذهب أو طائفة من المنتمين للإسلام متى توحدت الغاية السياسية.

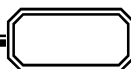
مع جمعية الأخلاق؛

وفي طرابلس لبنان تقوم جمعية الأخلاق برئاسة الأخ الشيخ فتحي يكن والذي كان هو الآخر يدعو إلى نهج سياسي ولكن مع الأخلاق والآداب والعبادة والتشريع؛ ذلك هو المنهج الذي ينتمي إليه الإخوان المسلمون، وقد كان الشيخ فتحي ضمن المجموعة التي كان يرأسها الشيخ عمر الداعوق تحت لافتة "عباد الرحمن" في بيروت؛ فالشيخ عمر الداعوق كما يحدث عن نفسه ليس هو من رجالات العلم ولكنه ممن يتجه لخدمة الإسلام بالاستعانة بالحكام والأمراء؛ وقد طلب من الملك سعود إنشاء مسجد له ولجماعته وما يدعونها بالخلوة التي من خلالها يقوم ببعض النشاطات النسوية؛ فوافق الملك على دعم مجموعة "عباد الرحمن" بإنشاء مسجد وخليّة مما جعل الشباب المنتمين للقطر السياسي يختلفون مع الشيخ عمر الداعوق واستعانته بالملوك واعتبروا هذا الدعم احتواءً لعملهم؛ فكانت جمعية الأخلاق برئاسة الأخ الشيخ فتحي يكن والتي تحولت فيما بعد إلى اسم الجماعة الإسلامية وأصدروا صحيفة إسلامية سياسية هي (الشهاب)

كانوا يقومون بتربية الأجيال الروحية والبدنية والفكرية كانوا يسيرون على مبادئ وتعاليم الشيخ حسن البنا؛ ولكن الأستاذ الأكبر لهم والموجه هو الدكتور مصطفى السباعي في دمشق ولهم اتصالات بالإخوان في الأردن وفلسطين، وبحكم البيئة والمجتمع الشامي كان الترابط القوي بين التنظيم الإخواني وعلى فكر الشيخ حسن البنا؛ إلا أن التعاون لم يكن على أشده وإنما أفكار وتوجهات سياسية أخذ بها الدكتور مصطفى السباعي حيث كان هو المعن والمحدث باسم الإخوان.

عام ١٤١٣ هـ تسلم الشيخ فتحي يكن كرسي عضو البرلمان في حكومة لبنان، وقد سمعنا ما أسر خاطر من نشاط الشيخ فتحي يكن؛ حيث طلب إقامة صلاة الجمعة وإيقاف المجلس وقت الصلاة، فكان له ذلك، وكان ذلك بتاريخ البرلمان اللبناني حدثاً لم يكن له مثيل من قبل؛ وعلى العموم فالإخوان أو الجماعة الإسلامية كما يسمونها هم ممن يتجهون اتجاهاً كلياً لجمع النشاط السياسي والديني والأخلاقي

يسير بخطى ثابتة وتتطور ملموس مع اصطدامهم بالتيارات السياسية والعقدية والمذهبية؛ ولا سيما بعد الحروب الطاحنة التي دامت أكثر من خمسة عشر عاماً مما جعل النشاط يضعف ويقل ويبقى الفكر وخطة العمل، كانت صلتني بالجماعة طيبة وحسنة في حدود العقل والمنطق والرابطة الأخوية الدينية.
وفق الله الجميع.



نافذة على الموت

كدت أطل على الموت من نافذة هي أصدق تعبير وأدق تلميح؛ حيث شاهدت عشرات المرضى كل ين من آلامه وأحزانه في المستشفى؛ وكلهم غرباء مثلي من قطر والبحرين؛ وكل القطريين في البادية السعودية من آل مرة وبني هاجر؛ إلا أنهم لجئوا إلى قطر وأخذوا الجنسية القطرية من أجل العلاج، وقد يكون الكثير منهم على صلة وقرابة بالقطريين الأصليين بحكم التجاور بين الدولتين، نزلت المستشفى بعد مجاعة وسوء تغذية، حين كنت في القصيم بريدة وعقب تناول الطعام المنظم ثلاث وجبات كل يوم الإفطار والغداء والعشاء على مدار الأربع والعشرين ساعة؛ ولا يلتفت هذا التنظيم إلى طول ليل أو قصر نهار فيأتي على كل وقت وجبة كل ثمان ساعات، تناول الإفطار فيه قبل الفجر أحياناً حسب التوقيت العددي للوجبات؛ ومما كنت أحبه من الأطعمة ما يسمى بالمجدرة أشبه ما تكون بالجريش عندنا، وبالعصيدة من البر والذرة مما كنا نأكله عادة في بلادنا قبل استيراد الرز وتكاثره وكثرة استعماله؛ أسلمت جنبي للسريير الأبيض شاخصاً بصري إلى السماء؛ يارب هذه الأغذية البيضاء هل سيكون منها كفي؟ سألت: هل أحد يموت في هذا المستشفى من جراء العمليات ومتابعة العلاج؟ كان الجواب: قليل من يموت أو لا يوجد بسبب العملية لكن طول الزمن هو القاتل فقد يمضي البعض ثلاث سنوات وبالأخص كبار السن، ومنهم من لا يتقبلون العلاج بسبب الضعف وقلة التصريف للأغذية والعلاج بالحبوب والشراب لا أجد ألاماً تضني غير السعال وخروج البلغم وفقد الدم وقلة الوزن؛ لم يكن الالتهاب الرئوي قد التهم الرئة ولكن كان جانب واحد تكهف وضمر؛ ومع انشراح صدري من حسن التعامل ولطف الممرضات والممرضين زادت الطمأنينة بأن لا خطر من العلاج ولا شكوك في أداء الأطباء وواجباتهم؛ الدكتور شارل هو صاحب المستشفى الذي قتل والده وهو يتعاطى مهنة الطب في هذا المستشفى؛ وقد عمل له تمثال نصب في مدخل المستشفى مما جعل الدكتور شارل يحذر كل الحذر من معاكسة المرضى أو الإساءة إليهم؛ فقد يتجاوز عن حقوق المستشفى على المرضى خشية إزعاج المريض ومضايقته فينفعل ويغضب ويكون

لقد شهد الدكتور مع اللجنة الطبية في هذا المستشفى صنيع الطبيب الشعبي الذي أجرى تجاربه على صدري بالكي بالنار؛ كان ذلك في الرياض قبل سفري إلى لبنان؛ أربعة أكوية من اليمين اثنان ومن اليسار اثنان على طول عشر سنتي؛ ومن علامة نجاح هذا الكي أن يدمي ويتقرح؛ وفي لغتهم ناقل فاذا نقل وتجرح وأخرج الصديد كان ذلك علامة إصابة المرض والشفاء يأتي عقب ذلك؛ قال لي الدكتور: إن هذا الكي على نبضات القلب وأخطر مكان من الجسم؛ تذكرت قول الطبيب الشعبي وهو يضع إصبعه على نبضات القلب؛ هذا هو محل المرض، وسيكون الكي عليه، لقد تحملت ألام الكي رغبة في الشفاء والعافية، ولكنها التجربة التي جعلتني بعد ذلك لا أسلم نفسي ولا أولادي لطبيب شعبي مهما كانت التزكيات وصدق التجارب عنده؛ وقد قيل: يفسد الأديان نصف عالم ويفسد الأبدان نصف طبيب.

لقد زال عني شبح الموت، وعدت أطمئن نفسي على نجاح هذه السفارة العلاجية، وانفتح لي باب التفاؤل، وأغلقت نافذة الموت؛ دخلت المستشفى بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٩٥٩م والعمر اثنان وعشرون عاماً الوزن ٤٥ كيلو الطول ١٦٨ الحرارة طبيعية والتشخيص تدرن رئوي متقدم مزدوج متكهف أيمن؛ هذا هو الطب البشري

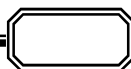
نتيجة الفحوصات لأشعة وتحاليل الدم والبلغم والبراز ومقياس الضغط وما إلى ذلك؛ أما ذلك الطبيب مما أسميه بالطبيب الحيواني إذ كان الحيوان غالباً ما يُعالج بالكي؛ وليس هذا اعتراضاً على الحديث: ((الشفاء في ثلاث وذكر منها الكي)) ولكن الاعتراض على الطبيب الجاهل بالطب ومثله من لا يحسن تركيبة الأدوية والمقاييس، فقد قال ﷺ لرجل: ((صدق الله وكذب بطن أخيك)) لأجل استعمال العسل ولم ينجح معه؛ إنها الأسباب التي لا يحكم بنجاحها إلا بإرادة المسبب، والمتسبب يفعل السبب ويترك الأمر لربه والله يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

لقد كان هذا المرض أول مرض طويل عرفته في حياتي؛ فإفادني مبادئ هي القواعد الأبدية لسير حياتي: الاعتماد على الله واليقين بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا أحد يتحمل عنك آلامك أو يسدي إليك من جسده أو روحه ما يعيد لك الصحة والعافية؛ وشيء مهم المادة فهي محور الحياة وتربط البشر وعربون الصداقة والمحبة وأساس التعامل البشري والفطري وتسيير الأعمال؛ ثم الأسباب التي هي عوامل النجاح في الحياة بتلك القواعد التي كان لي جهد في المستشفى مع المرضى البدو ولقد دعوني بالمطوع؛ التف حولي منهم الكثير، وكنت حملت معي بعض الكتب المدرسية في التوحيد والفقهاء رغم أن المستشفى تابع للجامعة الأمريكية في بيروت وبه إرساليات التبشير تكثف نشاطها بين المرضى المسلمين؛ قمت بدور إيجابي في التحذير من تقبل النشرات والكتيبات التي يهديها القسيس كل يوم أحد؛ حيث يؤدي الصلاة مجمع المرضى المسلمين وهم لا يطمعون في تنصيرهم ولكنه التعب الذي يلزمون به كأداء وظيفية رتيبة والقيام بالواجب الوظيفي ومن هنا كانت تقام صلاة الجماعة لخمسة أوقات بل تجاوز ذلك إلى أداء صلاة الجمعة في المستشفى من غير استئذان من إدارة المستشفى؛ وكنت الخطيب يوم الجمعة أما صلاة الأوقات فكل جناح من المستشفى يقيم عنده صلواته ولو لنفر يسير؛ لقد دبت الحياة الإيمانية في صفوف المرضى حين نذكرهم بالله والبعد عن الشهوات المخلة بالشرف والدين؛ إذ أن بعض المرضى يتسللون إلى بيروت للسمر ومعاقرة الخمر هدى الله من شاء هدايته وساعدني على ذلك الطبيب الكردي الذي جاء للتدريب عقب تخرجه من الجامعة الأمريكية في بيروت إلا أنه كان يبدي حماساً ضد جمال عبدالناصر والوحدة بين سوريا ومصر مما جعل السوريين من المرضى لا يميلون إليه ولا يرتاحون لحديثه وكان التصادم والجدل بين هذا الدكتور والسوريين والعراقيين أنصار جمال عبدالناصر إلى أن طلبوا من المستشفى طرد هذا الدكتور الكردي المنتمي لحزب التحرير.

وبقي العمل في تجميع الجمع وإلقاء الدروس في حدود لا يلفت النظر. أما السوريون والعراقيون فهم أبعد الناس من التدين والإلزام بالصلاة في أوقاتها. هل كان هناك احتجاجات على القسيس كروكن عقب طرد الدكتور الكردي المسلم لقد كان لهذين الحدثين نشاط القسيس بين المرضى وإبعاد الدكتور الكردي صدى في غرف المرضى وتجمعاتهم بطلب طرد القسيس إذ لم يكن طبيباً يعالج، ولا موظفاً إدارياً يؤدي عمل ونسبة النصارى في المستشفى أعداد قليلة، والأطباء لا يحضرون لصلاة الأحد، وحتى لا تعود عقارب الساعة إلى العنف فيقع له ما وقع لوالده أمر الدكتور شارل القسيس أن يخفف من زيارة المستشفى وأن لا يخاطب المسلمين في الديانة؛ الإسلام أو النصرانية وأن يكون على حذر من صدور ما يسيء للمستشفى.

أمضيت مع المرضى مدة إقامتي في المستشفى كمرجع ديني وأقمنا صلاة عيدين مع ما نصليه يوم الجمعة والأوقات. دعاني الدكتور شارل وأشار إلي بضرورة الراحة على السرير فإذا كان لدي بعض الفراغ فيمكن أن يستغل بأعمال

يدوية خفيفة أو رسوم، أراد من ذلك صرفي عن متابعة المرضى والإكثار من الحديث معهم في قالب النصح من أجل الصحة لزاماً علي ولو من باب المجاملة إغلاق غرفتي علي وعدم السماح بالزيارة ويكفي صلاة الجمعة.



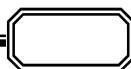
بيروت ملتقى الفئام ومجمع الأخلاط

قد لا تحكم على السحنة اللبنانية أهي فرنسية أوروبية أم عربية شرقية؛ قد رقت أصوات الكثير من اللبنانيين ونعمت بشرة الوجوه بفضل الادهان والتجميل والتزيي بزي الخواجات؛ أعني النصارى فالمهم عند السواد منهم: حسن الزي وأناقة المظهر الجميل وعذوبة المنطق وحسن العرض والطلب؛ مما جعل لبنان ملتقى الشعوب وهو المركز التجاري العالمي ومنبر الإعلام لمن يشترى ويزيد؛ مطابع تلفظ أصناف الكتب ومصنفات الديانات والمذاهب والاتجاهات؛ ساحة البرج في بيروت ساحة التفرج على أصناف البشر من عرب وعجم لا تكاد تخلص من منظر إلا ويسابقك المنظر الآخر؛ وعرب الخليج هم صيد العرب وهم أقرب إلى التأثير مما يشاهد ويرى، بخلو الذهن وسخاء اليد ووفرة المال؛ وإن شئت فقل: ضعف الدين وتسلس سلطان الشهوات؛ فهذا مسرح الفاروق تكتظ أبوابه بلابسي الدشداشة ومنكسي العقل درجوا على مدارج المسرح وألقوا ما فيه من المستنقع؛ وإن كان في نظرهم يسر ويفرح؛ أما طرابلس لبنان فهي المدينة الثانية بعد بيروت وبها الأكثرية من المسلمين لبناني الأصل؛ ولكن لا تخلو من تأثير الجارة بيروت؛ طلب زميلي ونحن في طرابلس أن ندخل أحد الكازينوهات بغرض الاستطلاع ومشاهدة ما لا يستساغ في نظر المتدين؛ فأجبتة عن طلبته ودلفنا نحو المقهى وكنا نسمع بالليالي الحمراء ولم نفقه هذا المعنى إذ لم يكن لنا عادة في المسامرة ولا في المغامرة؛ عرضوا علينا ماذا نشرب؟ فقلنا: البيبسي؛ فجاءتنا فتاتان كل واحدة بزجاجتين من البيبسي وجلستا حدونا وعرضتا علينا الدنس بمعنى الرقص أو استماع إلى أغنية تعجبنا؛ فاعتذرنا عن هذا وذاك ولكن كان المقهى يضج بالأصوات والنبرات والنغمات؛ واستأننا من النظر والخبر وقمنا نريد الانصراف؛ وضعنا ليرة واحدة على الطاولة عن الأربع الزجاجات حسب ما هو مسعر خارج المقهى؛ إلا أن الأمر لم يكن كذلك فقد طلب منا دفع عشرين ليرة لبنانية لكل زجاجة خمس ليرات فكانت الوصمة؛ اعتذرنا مرة ندخل في الكازينوهات ونحن من البدو ف

ليرات وسامحنا

فأبى إلا دفعها أو البوليس.

أما الجبل عالية وأبو حمدان وحمانا فكل المصطافين في جنة لا تكاد تصف ما فيها قصور شاهقة ومراتع الإبل لمشايخ الخليج؛ تشم عبيق الأزهار وستظل تحت أعمدة أشجار الصنوبر وترقى على صخرة وتهوي إلى نهر؛ لقد كان ممن يصطاف بعاليه حاكم قطر: الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني؛ وكنت على صلة بالعلامة الشيخ: محمد بن مانع جليس الحاكم ومستشاره؛ وأتردد لزيارته وإن كان قد بلغ سنأ أعجزته عن المنادمة والمحادثة إلا أنه يبش في وجه الزائر ويفرح بالمسلم؛ وفي حمانا مركز الاستشفاء أسس خصيصاً بعلاج الدرن والالتهابات الرئوية، وفيه ومنه أكتب مذكراتي وأستنزف ما بقي في ذهني من تلك الذكريات؛ وفي حمانا التي نسيت الكثير منها وبقي ما بقي لأسجله وأستذكره بعد ثمان وأربعين عاماً كنت في عز الشباب وعنفوان النشوة؛ ولكن مصرع الأمراض وعجلة الأعراض كانت هي الباقية في نقله لأجيال قادمة وربما الأقربون أولى بقراءته واستذكاره.



النارسات أو المرضات

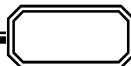
هن من الراهبات المتدينيات سعاد ويسرى وبرناديت وماما، فالأولى كانت تناولني الأدوية بالتوقيت الزمني حسب التقارير الطبية؛ والأخرى تنادمني الحديث وتفتح لي باب الأمل في الشفاء والعودة إلى الوطن؛ وبرناديت الثالثة خاصة بالمشغل لإعداد الخيزران والخياطة في خدمة المرضى؛ أما الرابعة (ماما) فهي التي تسهر طوال ليلها لمراقبة المرضى والاطمئنان على نومهم؛ استيقظت ذات ليلة وخرجت خارج الغرفة فجاءت (ماما) لتعرض علي الخدمات؛ فقلت: جائع ولست كذلك ولكن لا بد أن أبدي لها حاجة؛ فذهبت وأتت بالأكل وهي تقول: هذا الطعام أبقيته خشية أن يقوم واحد يرغب فيه فكان نصيبك؛ إنها (ماما) لكبر سنها وصبرها على متابعة المرضى في نومهم فلا تسمح لمريض بالسهر ولا رفع أصوات المذياع ولا بالمحادثة لأحد؛ إذ كان التوقيت لوجبات الطعام كالتوقيت للنوم والراحة في أثناء النهار؛ وبهذا ينتظم المريض في ضبط وقته وملاحظة صحته. أما الأرمني فقد خص لكل مجموعة من المرضى أرمني من بلاد روسيا الذين هاجروا إلى لبنان لتكاثر النصارى وغلبة المسلمين في العدد؛ إذ المسلمون الأكثرية عدداً بحكم التناسل وخصوبة الأرحام عند المسلمات بخلاف النصارى فهم يهتمون بالكيف لا بالكم؛ سنة الأوروبيين وطبيعة الغرب خلاف المشرق الإسلامي أو المسلمين والأرمن وإن كانوا تبع الكنيسة الأرثوذكس لكنهم يدخلون في مسمى النصارى وهم أقل درجة من البروتستانت ديانة أمريكا وإنجلترا؛ كما أن ثقافتهم ضحلة وتخصصاتهم العلمية مفقودة؛ لذا كانت مهمتهم تنظيف المرضى والخدمات الصحية كالتغسيل وكي الملابس؛ ومن تعاليم المستشفى أنه لا بد كل أسبوع يوم يكون للتنظيف وتغيير الملابس بواسطة الأرمني المتخصص في ذلك أجسام المرضى بالصابون والماء الفاتر؛ وربما يمضي نصف ساعة أو أقل بغرض التدليك حتى قص الأظافر والأمر بإزالة العانة بعد فراغه من التدليك الظاهري؛ كسب هذا الأرمني ود الكثير من المرضى وأغضب البعض لقدرة بعضهم على خدمة نفسه في الحمام إلا أن الأمر فوق الاختيار بالاستسلام للأرمني بتنظيف الجسد ومراقبة تغيير الملابس في كل

◆◆ وممن عرفت في لبنان

فتحي يَكن

بفتح الياء والكاف، لبناني من أهل طرابلس

التقيت به في عام ١٣٧٩ هـ في طرابلس لبنان، وقد أسس جمعية أسماها جمعية الأخلاق، التف حوله جمع من الشباب المتدين وقاموا بحملة سياسية إعلامية ضد جمال عبد الناصر إبان الوحدة مع سوريا ومصر، فكان لهم دور في توجيه الشباب اللبناني توجيهاً إسلامياً بعيداً عن النظرات القومية والأحزاب الاشتراكية، وقد استنقوا أفكارهم من الدكتور مصطفى السباعي زعيم الإخوان في سوريا. الشيخ فتحي يكن شاب فطن متيقظ فتح خطأً للدعوة الإسلامية بين خط الإخوان وبين خط حزب التحرير، فسمى جمعيته الجماعة الإسلامية فراراً من التسمية بالإخوان، فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم، ولمناداته بالحكومة الإسلامية والدستور الإسلامي فقد يقع عليه انتماؤه لحزب التحرير الذي أسسه تقي الدين النبهاني،



فتخلص من الاتجاهين الإخواني والتحريري، وإن لم يكن هناك خلاف في المبدأ والمنطلقات الأساسية.

التقيت بالشيخ فتحي يكن في جلسات متكررة وإن لم يكن هناك صحبة أو صداقة إلا أنه يحترم الوافد والزائر لجماعته ومركزه، كان لهم جريدة تدعى بالمجتمع ثم حولوها إلى الشهاب، وقد توقفتا معاً لما فيهما من حرارة وتوجه سياسي إسلامي، يشجب المبادئ والاتجاهات غير الإسلامية، وربما تعرضتا لبعض الشخصيات فكان توقفهما عن الإصدار والاستمرار ما يبرر الاتجاه غير المقبول في الجو السياسي العام سواء في سوريا أو لبنان أو في مصر أو في دول الخليج.

ظل الشيخ فتحي يكن يعمل جاهداً حتى توصل أخيراً لأن يرشح عضواً في البرلمان اللبناني، وهذا أول مكسب سياسي لجماعته بعد ما يزيد على ربع قرن من المحاولة والجهد لخدمة الدين عن طريق السياسة ومجالس البرلمان، وفيما سمعنا أنه ولأول مرة في تاريخ برلمان لبنان توقف جلسات المجلس لأداء صلاة الجمعة، ويقال: إن هذا بتأثير الشيخ فتحي يكن ومطالبته بذلك، وهذا شيء حسن.

ألف الشيخ فتحي يكن وكتب الكتيبات ومنها مشكلة الدعوة والدعاة، فكان قلمه مقبولاً إلى حد ما إلا أن ما يكتبه ليس فيه جديد، فهو ترديد أفكار من قبله من كتاب الإخوان كسيد قطب ومصطفى السباعي، وترديد وتكرير لمنهج الشيخ حسن البناء، وخطط تربيته للشباب المسلم، ولهذا لم يكن للشيخ فتحي يكن صفة ريادة وقيادة في الإبداع والتفكير غير حسن الصياغة والأسلوب الإنشائي فيما يكتبه لإلهاب حماسة الشباب، وتقريب أفكار الإمام حسن البنا إليهم.

هذا ولا يفوتني التنويه بضحالة العلوم الشرعية: علم الفقه والحديث لدى الشيخ فتحي وجماعته، وكل ما هنالك حب الإسلام على العموم وعدم الدخول في الجزئيات الاجتهادية من أحكام الشريعة أو حتى العقيدة، إلا أنهم يهضمون حركة الإخوان وما كتبه الإمام حسن البنا رحمه الله.

حاولت في لقاء مع الشيخ فتحي يكن في زيارات متعددة بعد العام ١٣٨٩ هـ أن يكون على صلة بعلماء المملكة، وبالأخص من هم على مستوى الاجتهاد والفتوى، فكانت إجابته لا تخلو من إجابة السياسي المرن: نحن هنا في لبنان نحتاج إلى علماء من لبنان يعرفون حقيقة وضعنا وما يعانیه من أزمات ومشاكل اجتماعية وسياسية يعالج هؤلاء العلماء وضعنا السائد ويحلون مشاكلنا وفق ما تقتضيه شريعة الإسلام، وقد عرض عليه دعوة لزيارة بعض الهيئات القائمة في المملكة رسمياً فاعتذر بعدم



(٣) سوريا

الأقذار في عام هـ، أن أكون في الشام دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية، والتي كانت تلك الأيام قد توحدت مع جمهورية مصر فكانتا جمهورية متحدة.

وفي فندق الوردات الثلاث، الفندق المتواضع والذي لا يتجاوز أجره النزول فيه ليرة ونصف الليرة السورية، وكانت الليرة آنذاك تعادل الريال وربع الريال

لقد انطبع في ذهني ذكريات كثيرة عن بلاد الشام العاصمة الأموية، وفيها الآثار العربية والآثار الإسلامية والعثمانية، وفيها من العلماء والقادة الزعماء رغم الضغوط الناصرية ورغم التشدد القومي والحزبي، حزب البعث الاشتراكي، نعم إنها دمشق معقل من معاقل الإسلام وعاصمة الدولة الأموية والتي استقر بها معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فأسسها عاصمة للدولة الأموية، وفي هذه العجالة التي أكنها في ذاكرتي، وبعض ما سجلته أثناء زيارتي الأولى لسوريا والتي شملت دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية، غير أن استقرارني وارتياحي كان في دمشق، وكانت مدة الإقامة في أول زيارة إلى سوريا في العام المشار إليه ثلاثة أشهر، كانت في الصيف، ولا أنسى ذلك الرغد في العيش ورخص الأسعار وتواجد الأشياء الضرورية وتنوع الفواكه؛ مما لم نعهده أو نعرفه في تلك الزيارة الاستجمام والراحة بعد علاج في لبنان دام عاماً ونصف عام.

المكتبة الظاهرية:

كان أول ما علق بذهني فور هبوطي الشام أن أرى المكتبة الظاهرية وأستفيد من شيخها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فكانت أولى الخطوات إلى المكتبة لظاهرية، وهي مكتبة قديمة أثرية بها أنواع من التراث العلمي والثقافي. كان الشيخ ناصر قد اختص فيها بغرفة للتحقيق والبحث والمراجعة في بطون كتب الحديث والمراجع، زرت المكتبة الظاهرية ورأيت الشيخ ناصر والطلاب يتوافدون إليه زرافات ووحداناً، ورغم أن الغرفة المخصصة له لا تتسع لأكثر من اثنين مع الشيخ، فإنني لم أستطع الوصول إليه والتحدث معه على انفراد مما ساءني في أول وهلة.

تكررت زيارتي للشيخ ناصر في المكتبة علي عجل، وفي دكانه الذي كان يشتغل فيه بتصليح الساعات والتي ينسب إليها كنسبة أرباب الحرف، وهذا ما جرى عليه كثير من علماء الشام فيقال: الصباغ والدباغ، وهكذا الساعاتي ومثله القصاب مما اشتهر وعرف من علماء الأمصار من غير ترفع أو اشمزاز عن النسبة للصناعة والحرفة مما يختلف تماماً عند العرب وبخاصة عرب الجزيرة.

مع الشيخ ناصر في حلب :

أقام في حلب جمعية تدعى بجمعية الصراط المستقيم، مؤسس هذه الجمعية ورائدها الشيخ محمد نسيب الرفاعي السلفي، والذي اتخذ الشيخ ناصر معلماً ومرشداً وموجهاً لهذه الجمعية.

كان من ثمرات هذه الجمعية أن طلبوا من الملك سعود منحاً دراسية لطلاب من سوريا للدراسة في المعاهد العلمية بالرياض؛ فكان ذلك بحمد الله.

وقد كان هؤلاء الطلبة هم غرس نواة للدعوة السلفية في سوريا بعد أن عادوا متخرجين من المعاهد العلمية وكلية الشريعة.

الشيخ محمد نسيب شخصية قوية وأديب شاعر ملم بعلم الحديث والتفسير، وكان يتطلع إلى زعامة دينية تحت راية السلفية في سوريا، إلا أن الضغوط الناصرية الأحزاب الاشتراكية والطرق الصوفية، وهي أشد وأنكى على السلفية لم تفسح له فرصة لتحقيق طموحاته.

كان أولئك حجر عثرة بل سداً منيعاً في تقدم العمل الإسلامي السلفي كعمل تنظيمي متطور، غير أن الشيخ ناصر بقي مرجعاً للفتوى والاستفسار والرد على الصوفية بكل وضوح وصرامة.

كان للشيخ ناصر برنامج شهري يتجول فيه على مناطق في سوريا (حمص، حماة، حلب)، واستقراره في الشام، حضرت أحد جلساته وهو يناقش من ينفي علو الذات، فقال الشيخ ناصر: عليك أن تثبت أن الله في جهة، وإن لم تفعل فأنت تعبد عدماً، فصعق الرجل وقال: كفرتني يا شيخ ناصر، وكانت مناقشته فيها شدة وقوة ومراغة تفتقد اللين والحكمة ومحاولة هداية الآخرين؛ وكان الذي يهيم الشيخ هو إقامة الحجة عليه

وفي حمص كان نزولي عصرًا حيث توجهت إلى أحد المساجد لصلاة العصر،

شيخ وقور فدخلوا أبصارهم إليّ فدنوت منهم وسلمت،

: من أين : من الجزيرة العربية، قصدت من ذلك التعمية حتى لا أنسب

إلى نجد الوهابية في أول تعرفي إليهم، ولكن الشيخ قال، أنت سعودي ومن الرياض؛ فكشف السر وبطلت الحيلة، فقلت:

: ألسنت وهابي، قلت: نعم، نحب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنا على

: فكيف تزور القبور وهذا خلاف مذهب الوهابي، فطلبت من الشيخ أن

يرشدني إلى قبر عمر بن عبدالعزيز وخالد بن الوليد، ومن هنا من الصحابة، ولعل فضيلته يكلف من يراقبني فيما أقوله عند قبور الصحابة وهو ما عليه محمد بن عبدالوهاب، فزال عن ذهن الشيخ ذلك التصور الخاطيء بعد لقاءات متكررة.

بعد زيارة المقابر، أوكل بي الشيخ شاباً اسمه منذر إسماعيل شركسي، فكان

بصحبتي مدة إقامتي في حمص يومين، وقد أخرجني حين أصر على أن أبيت في بيته ضيفاً له، وذكر أنه يسكن مع والديه وإخوانه وأخواته وليس هناك حرج عندما تنزل ضيفاً علينا فأجبتة ليلة واحدة مع عدم ارتياح، وخاصة أنه شركسي وأثار الحاجة والفقر ظاهرة على فرشهم وأوانيهم، جزاه الله خيراً على الإكرام والمحبة.

أخذني منذر إسماعيل ليعرفني على حلقات الذكر وشيوخ حمص فتعرفت في

يومين على حلقتين، حلقة ذكر وحلقة تعليم في مكانين مختلفين من حمص.

حلقة الذكر:

الطريقة الأحمدية، ما كدنا نصل إلى البيت والذي يقام فيه حلقة الذكر حتى

سمعنا شهيقاً وصياحاً أشبه بنهيق الحمر، وهم يكررون: هو هو الله هو هو هو؛ يسمعها البعيد.

أدون استنذان، وكانوا قد وقفوا قبالة خمسين رجلاً متلاصقين مترابطين الأيدي وهم يكررون الذكر: الله الله هو هو. لقد أشار عليّ رفيقي بالدخول في الصف والمشاركة في الذكر؛ ففعلت ذلك حتى لا نلفت الأنظار أو تتور الفتنة بين سلفي ومبتدعي. بقينا في الصف قرابة نصف ساعة، فأشرت إلى صاحبي: هل أجلس أو أنصرف، ولكنه قال: لا مانع أن تجلس؛ فجلست مع صمت ونظر في واقع هؤلاء، وكانت الطبول قد رصفت على الحيطان، وذلك عندما يفترقون من الذكر يتناولون الدف والطبل ليكون ذلك أنشط لهم كما زعموا، وبعد ساعات طويلة جلسوا وهم يضحكون ويتبادلون الحديث والتندر، بل ورأيت منهم من أشعل سيجارته في حلقة

هذه صورة شاهدها في حلقة الذكر في حمص، وبئس ما صنعوا، أخبرني صاحبي أن أكثرهم جهال وليسوا بالعلماء، والعلماء لهم حلقات فيها البحث والمناقشة ل الفقهية والعقدية فهيا بنا إليهم.

جلسة العلماء:

توجهنا من حلقة الذكر إلى مجلس العلماء في حمص، وكانوا قرابة عشرين عالماً قد تعمموا بالعمائم التركبية (الطربوش الأحمر والعصابة البيضاء تحيط دخلنا بلا استنذان وكان المجلس قد امتلأ فجلسنا أنا وصاحبي ولكن كان منظري يشير إلى غربتي من البلد.

وبعد انتهاء البحث فيما بينهم سألوا منذر إسماعيل: من هذا الشاب : هو من السعودية، فسألني أحدهم: كم تصلون صلاة التراويح، فقلت: والوتر، وقال الجميع: عجباً لكم؛ ففي سوريا من ينتسب إليكم وهو يصلون التراويح أحد عشر ركعة؛ يعنون بذلك الشيخ ناصر الألباني، فقال أحدهم: يا أخوان وهابية السعودية غير وهابية سوريا؛ وهابية سوريا متشددين متنتعنين، وشيخهم الألباني الذي لا يتمذهب بأحد من المذاهب الأربعة؛ فقلت لهم: أما نحن في المملكة فمذهبننا حنبلي، وفرحوا بذلك فرحاً شديداً، وقاموا يعانقونني واحداً واحداً، ثم عادوا إلى البحث والمناقشة بين وهابية السعودية وهابية سوريا وما بينهما من فوارق واختلاف، وذكروا مسائل انفرد بها الشيخ ناصر فيما يفتي به أو يقرره تلامذته. انتهت الجلسة وودعنا علماء حمص من غير لقاء آخر.

العودة إلى دمشق:

وفي مجلس وحلقة الشيخ أحمد كفتارو بحي الأكراد في دمشق، وهو مفتي سوريا كردي يتمذهب بالمذهب الشافعي، شيخ الطريقة النقشبندية، له شخصية جذابة وأسلوب في الحديث م المريدين يتقنن بأسلوبه الساخن في جذب الشباب إليه، لقد تكررت زيارتي لحي الأكراد والذي فيه مقام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ((وهو مقام يتردد عليه الزوار صباح مساء، وحول هذا المقام أو بالأصح الوثن، يسكن الشيخ أحمد كفتارو، وبجوار منزله مسجده الذي يقيم فيه الصلوات وحلقات الذكر والتعليم.

كان لقائي الأول بالشيخ أحمد في مجلسه حينما قال: لقد زار الرئيس جمال زيارته حين نزوله دمشق، ولكن الرئيس رفض مقابلة العلماء، ومع هذا فقد ذهب هو بنفسه إلى زيارة بيت الأساقفة والقساوسة من نصارى الشام، وسؤالي للشباب: لماذا هذا الصنيع من رئيس جمهورية عربية إسلامية وهو مسلم يرفض مقابلة علماء المسلمين في ديارهم ويذهب هو لزيارة رجال الدين النصراني؟ فما هو الجواب؟

تردد الشباب في الإجابة وقال هو: إنما أنا أجيبكم؛ الرئيس زار النصارى لأن لهم وزن وقيمة عند أتباعهم، وكأنه زار كل النصارى، أما نحن علماء المسلمين وزن ولا قيمة لنا عندكم تخولنا أن نلتقي بالرؤساء، فضلاً عن أن يزورونا في بيوتنا، أليس هذا هو الجواب يا شباب؛ قولوا:

كانت الجلسة بعد كل عصر، وقد سجلت بقلمي في وقتها ما نصه: قال الشيخ

باب الإيمان: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقًا مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوَلِّيكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [:] : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا

ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [:] .

ثم عرف الإيمان وقد : الإيمان هو نور ينقذف في القلب الطاهر ويشع في النفس، ويؤثر بالأعصاب والفكر فتندفع الأعصاب والجوارح إلى امتثال أمر الله والابتعاد عن محارم الله، ثم أورد أحاديث:

- ((الإيمان عفة عن المحارم، وعفة عن المطامع)) [نعيم].
- ((الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه)) [رواه ابن شاهين في السنة عن علي].
- ((أشرف الإيمان أن يأمنك الناس؛ وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك، وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات؛ وأشرف الجهاد أن تُقتل فيغفر لك)).

- ((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك أينما كنت)) [رواه الطبراني وأبو نعيم].

- أفضل الإيمان أن تحب الله وتبغض الله، وتعمل لسانك في ذكر الله

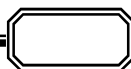
وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت)) [

- ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب من ماله وولده)) [

أبي هريرة].

فهمت من شروح الشيخ وتعليقاته على هذه الأحاديث وتعريف الإيمان مسلك وف المبتدع، فقد عرف النبي ﷺ: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)).

ومع تعريف الإيمان اللغوي وتعريفه الشرعي يتجلى الخلاف بين ما عليه السلف وما عليه المبتدعون، ومع هذا فقد واصلت حلقات تعليمه ودروسه بعد كل عصر، وفي المغرب تقام حلقة الذكر لخواص المريدين، وقد اشتركت في تلك الجلسة في ضوء خافت بعد المغرب يوماً ما حيث رددوا الأذكار والأدعية بصفة الخشوع والتضرع، ولكن الذي لم أفهمه أو يفهمونني إياه هو قولهم: الرابطة الشريفة.



وقد فهمت معناها من غيرهم: أن تربط قلبك بالشيخ ليوصلك إلى الله، فقد شبهوا الشيخ بالنافذة التي لا يمكن الوصول إلى الله إلا عن طريقها، وبتصور ذات الشيخ وحضور عظمته في القلب يقترب منك تصور الذات الإلهية، وهذا هو معنى الرابطة الشريفة والتي هي من مستلزمات أورادهم اليومية.

علمت أن هناك خلوات أشبه بالزنزانات في السجون، يخلو بها المرید لبضعة أيام للذكر والخلوة، ويقلل من الأكل ومستلزمات قوام الجسم المادي حتى يصل إلى الله، وإن لم يصل إلى مرحلة الفناء، ولكنه صالح لأن يكون ذا رتبة عند الشيخ الأكبر ويكون ممن يربي الأجيال أو بالأصح يكون شيخ طريقة، كنت أعرف هذا، و أدخل معهم في بحث أو نقاش عن مشروعية أو بدعية هذا الصنيع لأنه لا فائدة في

مع بعض مریدی الشيخ:

لقد تلطفت لبعضهم ممن يحضرون حلقات الذكر وأبدیت له رغبتی فی الحديث معه، ولكن ليس في المسجد ولا في حلقات الذكر، دعوني إلى منزل أحدهم بحي رت بالحديث عن محيي الدين بن عربي وأنه من أصحاب وحدة الوجود بين أن كل موجود هو عين المعبود، فأذكروا ذلك وقالوا: هو من علماء الصوفية وهو محيي الدين بن عربي، فقدمت لهم رسالة مما كتبه الجد الشيخ حمد بن عتيق وهي ((الفرق المبين بين مذهب السلف و بن سبعين وإخوانه الملحدين))

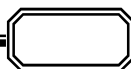
يقرؤوا هذه الرسالة ويكون لقاء بهم حول بعث هذا الموضوع، أعني وحدة الوجود والشيخ ابن عربي، ولكنهم أبو كل الإباء المناقشة والبحث والجدل، وطلبوا مني الانضمام إلى حلقة الذكر ومتابعتها فستتجلي عنك هذه المخيلات أو المفاهيم الخاطئة رق الصوفية وبالذات الطريقة النقشبندية، وببركة الشيخ أحمد كفتارو ودعائه يفتح الله عليك آثار علمه ورحمته.

وأما الجدل والنقاش فهو يترك للفقهاء والعلماء المتبحرين والراغبين في إدراك المعارف الفقهية والشرعية، أما أصحاب السلوك فهم لا يرون الجدل في خواص العبادة كالذكر السري، وبهذا عرفت أنه لا فائدة في المریدين والبحث معهم في أسئلة مسائل العلم، وبالذات في العقيدة.

وقد اشمأزوا بعض الأشمأزاز حينما عرفوا أنني من نجد وممن تتلمذ أو قرأ كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب، وعلى صلة بالشيخ ناصر الدين الألباني شيخ الحديث في الشام.

مرة أخرى في مجلس الشيخ أحمد كفتارو، حينما بدأ حديثه بقوله: هؤلاء الوهابية، انظروا كيف تنكروا لدينهم. عندما ذهبوا إلى موسكو، أسألوا أخاكم فاروق كيف كانت حالة البعثة السورية إلى موسكو وفيهم الوهابيون كيف كان صنيعهم، لقد تنكروا لدينهم، ويعني بهذا طلبة من سوريا ذهبوا إلى موسكو كما ذكر ممن ينتمون إلى الوهابية في زعمه.

لقد تأثرت بهذا الكلمة، وكان بجوارني أحد مريديه ممن عرفته فلزمني قائلاً: لقد علم الشيخ بوجودك في هذه الحلقة فأراد أن يتكلم عن الوهابية ولأول مرة يطرق ذلك الوهابية أو من يخالفه، ولكن بالمناسبة ذكر هذه القصة فقلت له: كيف والناس كثير، هل علم الشيخ بوجودي، فقال: هو يعلم كل شيء، يعني بذلك علم المغيبات،



نعوذ بالله من الفتنة، ولعل هذا مفهوم خاص لهذا الطالب ولا أظن الشيخ كفتارو يدعي علم الغيب.

كانت هذه الزيارة الأولى للشيخ أحمد والتي تكررت في استماع دروسه وحلقة تعليمه؛ وفي عام ١٤٠٦ هـ كنت في مهمة رسمية خاصة للشيخ أحمد كفتارو وبمعية الأخ الفاضل الشيخ سعد الحصين، وذلك لتقييم معاهده وإمكانية التعاون معه؛ فكان لقاؤنا بالشيخ كفتارو لقاء رسمياً فيه مجاملات، والحديث العام عن شؤون المسلمين، وأخبرنا أنه قدم من روما لمقابلة البابا في الفاتيكان ويفتخر بهذا اللقاء بين الديانتين الإسلام والمسيحية فكأنه هو يمثل الإسلام، وذلك يمثل النصارى؛ وبلقائهما يكون التقارب.

جمعيات في سوريا:

وفي الزيارة الأخير / / هـ، زرنا بعض الجمعيات الإسلامية والتي أذن لها الحزب الاشتراكي البعثي بالتنفس وممارسة نشاطها الديني المحدود تحت عين وأذن المخابرات السورية البعثية، بعد أن تقشعت سحابة الحركيين من الإخوان المسلمين والجماعة السلفية؛ ولا بد للفراغ النفسي والطموح لدى الشاب المسلم السوري من ملء وإشغال في حدود وإطار الإسلام العام؛ مع ما يـ التنظيم من نقص وعدم توجهه لخدمة الإسلام بمفهومه العام الشامل.

- جمعية الأنصار: وتقع في حي الأكراد من دمشق ويرأسها الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية، وتقوم بنشاطها من خلال مسجد أبو النور والمعهد الشرعي للدعوة والإرشاد، وكلية الدعوة؛ وجميع طلابها وطالباتها سبعمئة؛ ومناهجها دينية في الغالب مضاف إليها بعض الدروس العصرية: اللغة الإنجليزية والعلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة وهي مجانية، تقوم على التبرعات بعض المساعدات المالية الضرورية لطلابها الفقراء.

- جمعية الفتح الإسلامي: في دمشق؛ ويتركز نشاطها في معهدها الديني ويقوم على التبرعات؛ وعدد طلابه سبعمئة طالب وأكثر طلابه من تركيا ومن خارج سوريا؛ ومنهجها يماثل المعاهد الدينية الأخرى إلا أنه يختص بالمذهب الحنفي والعقيدة الأشعرية وشهادة المعهد معادلة من الأزهر.

- جمعية الفرقان: لمهاجرين من دمشق؛ وأبرز نشاطها المعهد الشرعي، ويقع تحت جامع المرابط، وقد قام على تأسيسه الشيخ أمين المصري - رحمه الله - وعدد طلابه مائة وستة وتسعون طالباً غالب طلابه من خارج سوريا؛ ومنهجها مماثل للمناهج في المعاهد الأخرى من سوريا.

٤- جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية في باب الجابية من دمشق؛ ونشاطها كما يبين من اسمها يمثل في معهد العلوم الشرعية، وعدد طلابه تسعون طالباً من أفريقيا وتركيا ويوغسلافيا؛ ومديره الشيخ عبدالله دك الباب سلفي المعتقد.

٥- معهد القرآن: يرأس هذا المعهد أخونا الفاضل الشيخ عبدالله علوش الذي تخرج في كلية الشريعة بالرياض، وكان ضمن المدرسين في المعهد العلمي في بلجرشي في بلاد غامد، وقد سمي هذا المعهد معهد الرئيس حافظ الأسد، وقد عاتبناه على هذه التسمية إلا أنه أبدى مبررات لهذه التسمية. وهو أي - الشيخ عبدالله - من تلاميذ الشيخ ناصر الدين الألباني إلا أنه أسيء الظن فيه بانتظامه بعمل حزبي؛ وهو فيما أعلم بريء كل البراءة من أي تنظيم حزبي سياسي، ولكنه في حالة جيدة من

العمل المثمر في خدمة القرآن وعلومه وهدى الله الجميع وهدانا وبصرنا بما ينفع في دنيانا وأخرانا، والله ولي التوفيق.

وممن قابلنا في هذه الرحلة :

١- السفير السعودي الشيخ أحمد الكحيمي؛ وقد قابلنا بما عرف عنه من نشاط وحيوية وحسن استقبال ورغبة في التعاون؛ وله خدمة طويلة في أرض الشام حيث كان سفيراً للمملكة في الأردن خمسة وعشرين سنة كما عمل في لبنان قبل نقله إلى سوريا.

- الشيخ حمزة عابد الملحق التعليمي السعودي في سوريا؛ وقد قضى أكثر حياته في خدمة التعليم موظفاً في وزارة المعارف؛ ومن آخر الوظائف التي شغلها قبل عمله في الخارج مدير عام للثقافة؛ ثم مدير التعليم؛ وهو رجل معروف بالإصلاح وحسن الخلق والرغبة في الخير؛ ويمكن الاستفادة منه في بعض المهام

- الشيخ عبدالقادر قدرى الأرنؤوط المحدث المعروف؛ وقد لازمنا أكثر الفترة التي أقمنا بها في دمشق؛ وهو عالم سلفي المعتقد مجتهد يشتغل بالدعوة إلى الله في سوريا ويوغسلافيا؛ كما يشتغل بتحقيق الكتب وتخريج أحاديثها وهو من أنشط الدعاة وأعلمهم؛ وله دروس منظمة في مساجد دمشق يحضرها عدد جيد من العامة

٤- الشيخ محمد ناصر ترماني؛ طالب علم سلفي المعتقد يقيم في حلب، وقد درس في كلية الشريعة في الرياض؛ وهو من أبرز تلاميذ الشيخ ناصر الدين وعلى منهجه في الدعوة.

- الشيخ عبدالله علوش في دوما من ضواحي دمشق؛ تخرج في كلية الشريعة في الرياض ويعمل مدرساً رسمياً في مدارس وزارة التربية السورية وإمام لجامع دوما الكبير؛ ويقوم على مدرسة للقرآن في مسجده.

- الشيخ عبدالرحمن الحكواتي يقيم في حلب ولا يمارس عملاً منتظماً في الدعوة؛ قبل المعهد الشرعي في ادلوب الذي كان أحد مدرسيه بسبب الفتنة؛ وقد كان في أوغندا داعية تابع

٧- الشيخ محمد حبش إمام مسجد الزهراء في دمشق (المزه) من أنبل تلاميذ الشيخ أحمد كفتارو، شاب في الثانية والعشرين من عمره؛ يدرس في السنة الأخيرة في كلية الشريعة بدمشق، ذكي يتوقد نشاطاً وحيوية؛ صلينا معه الجمعة، وكانت خطبته في معجزات النبي ﷺ وقد حث المصلين على قبول ما صح منها في القرآن والسنة؛ ونبذ ما لم يصح من الأحاديث الضعيفة والموضوع ورد أقوال من نفاها جملة وتفصيلاً؛ وقد قضينا معه نصف النهار في البحث والمناقشة، وكان يجهر ويرفض الخرافات التي ترد في ذكر بعض الصالحين والموالد.

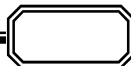
- الشيخ عبدالله دك الباب؛ شاب سلفي المعتقد يدير المعهد للعلوم الشرعية التابع لجمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية في باب الجابية بدمشق.

- الشيخ محمود الحلو جامعة دمشق ومن تلامذة الشيخ

ناصر الدين الألباني وينهج نهجه؛ ويؤم ويخطب الجمعة في قطنا غرب دمشق.

- الشيخ عبدالرؤوف أبو طوق؛ وهو خطيب مسجد كبير في دمشق بناه

التاجر أكرم عجه؛ والشيخ عبدالرؤوف من أحبب الشيخ أحمد كفتارو وينهج نهجه.



◆◆◆ وممن عرفت في سوريا

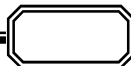
الشيخ / أحمد كفتارو

مفتي سوريا وأبرز علمائها الرسميين

تعرفت عليه عام هـ حينما كنت أرتاد مجالس تعليمه في حي الأكراد بضاحية دمشق من جمهورية سوريا ولم يكن هناك أي لقاء مباشر إذ كان محاطاً بالأبهة الصوفية والاحترام المقدس لدى أتباعه وأشياعه، ولكنني أمضيت شهراً في دمشق أرتاد مجالس تعليمه ومذكراته في الجامع الأموي وفي مسجده بحي الأكراد عرفت رجلاً ذا ذلاقة لسان وساطع بيان ونعومة في التعبير ودقة في التفكير يستقطب تلامذته ومريديه بضرب الأمثال والحكايات القصصية ليظهر منزلته القيادية بين أتباعه وأشياعه، قال ذات يوم: لقد زار الرئيس جمال عبد الناصر دمشق وذلك أيام الوحدة بين مصر وسوريا فاستأذن علماء الشام للسلام على الرئيس عبد الناصر فرفض مقابلتهم، ولكنه مع هذا ذهب الرئيس عبد الناصر إلى زيارة القساوسة النصارى في بيوتهم، أتدرون لماذا يا شباب يرفض الرئيس عبد الناصر مقابلة علماء الإسلام ويذهب هو بنفسه لزيارة رجال الكنيسة؟ فأجابهم: (المسلمين) لا تعتبرون علماءكم ولا قادتكم الدينيين كاعتبار

النصارى لقادتهم وقساوستهم، أليس هذا هو السر؟ فقالوا: .
بمثل هذه الحكاية أو القصة الواقعة يتسلم الشيخ أحمد كفتارو مركز القيادة والمشیخة الكبرى، فهو شيخ الطريقة النقشبندية كما هو مفتي سوريا الرسمي، حضرت جلسات الذكر لمريدي الطريقة فمما قالوه: الرابطة الشريفة، فسألت ما معنى هذا؟ فأجابوني بأن المعنى أن تربط قلبك بالشيخ، والشيخ يوصلك إلى الله، فلا طريق إلى الله إلا بواسطة الشيخ، وربط قلب المريد والتصور التام لذاته وصورته في قلب مؤمن خاشع مسلم للشيخ على الطريقة النقشبندية.

هـ زار هو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في الرياض وطالب إرسال وفد منه لزيارة مدارسه ومشاريعه التعليمية فوق التكليف من قبل سماحة الشيخ ابن باز عليّ وعلى زميلي الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين وكلفنا بزيارة الشيخ أحمد كفتارو في دمشق لإعطاء مرئياتنا حول التعاون معه ودعمه ومساعدته، فالتقينا بالشيخ أحمد بعد عودته من روما وزيارة الفاتيكان، فكان في حديثه عن البابا والفاتيكان ما استغرق جل الوقت إذ كان معجباً غاية الإعجاب دسية رجل الدين النصراني ومكانته بين أتباعه، فكان الشيخ يطمع أن يكون كذلك.
الشيخ أحمد كفتارو بقي ولا يزال مفتياً لسوريا أكثر من ثلاثين عاماً وهو شخصية لينة حذرة، وفي حديثه ما يسلب الأبواب مع تصنع التواضع وبعد نظره واستقطابه القادة من غير الإخوان المسلمين، وسمعت أنه قد احتدم خلافه مع الدكتور مصطفى السباعي ومع حركة الإخوان في سوريا، كما كان يختلف مع النهج السلفي كل الاختلاف، لكن السلفيين في سوريا ليسوا أهلاً لرفع الخلاف ولا مساواة بينهم وبين الإخوان في المنهج السياسي والتنظيمي، ولذا كان الشيخ أحمد لا يعتبرهم حركة مناهضة لتوجهاته القيادية في سوريا.



عدنا من سوريا نحمل في حقائبنا التقارير عن مشاهداتنا لمدرسة المفتي وما هي عليه من تنظيم وإتقان وجودة إلا أن المنهج لا يمكن أن يتغير أو يعدل فيه شيء، ومن الجدير بالذكر أن حي الأكراد وهي القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ أحمد فيها بي الدين بن عربي صاحب () ومن أرباب وحدة الوجود، وهو ليس دت وإنما هو مزار ومشهد ووثن يُعبد من دون الله للاستعانة والاستغاثة

وللاختصار أوجزت ما ذكر عن الشيخ أحمد كفتارو وإن كان في ذاكرتي الشيء الكثير عنه، غفر الله له.



إسماعيل بن عتيق في سوريا

(٤) الأردن

لم يعلق في ذهني من ذكريات ما يوجب تحريره وتصديره للقارئ الكريم، حيث كان زيارتي للأردن متأخرة وفي مهمة رسمية لم تدم سوى بضعة أيام، غير أن من قابلته وعرفته أكثرهم من المعارف والأصحاب القدماء فلذا لم يستجد عندي ما يوجب تحريره ولا سيما أن الأعمال الرسمية لا ينبغي تسطيرها لقارئ لا يعرف شيئاً عن خلفيات العمل ولا هوية الكاتب فقد تحمل على غير محملها الطبيعي؛ وممن قابلته في هذه الزيارة بعض المشايخ المهتمين بالدعوة والإرشاد؛ وممن لنا بهم سابقة

١ - فضيلة الشيخ يوسف البرقاوي: عالم فاضل يتعاون مع جمعية الأوقاف، أو لعله المسئول الأول في مدينته ببرقا، وهو ذو حماس ونشاط في الدعوة، قوي البنية، قوي الإرادة، سريع الخلاف مع من يجادله ويناظره، وهي سمة ظاهرة لجميع السلفيين أو المنتمين للسلفية يعتمدون على قوة الحجة وضعف الخصم وقوة الدليل، وهذا شأنهم مع أصحاب الطرق والبدع، أما في السياسية فإنهم يضربون صفحاً عن الجدل والتفاسير ولا سيما عندما يطرقون إلى تسمية أسماء بعينها، فلذا فإن حكومة الأردن ترضى عن مثل هذا الخط السلفي، وقد تستعين بهم ضد الإخوان أو جماعة حزب النبهاني، فلذا مجالهم مفتوح من غير اعتراض إلا من جهات شعبية غير رسمية.

- الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين:

وفلسطين من قبل رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، والشيخ سعد له تاريخ طويل؛ وسيرته المليئة بالإعجاب والغرائب، فقد تقلب في عدد من المناصب كان آخرها مديراً عاماً للتعليم الثانوي في وزارة المعارف بالمملكة، وثقافته مزدوجة فهو خريج كلية الشريعة بمكة، ولقد تلقى دراسات في أوروبا وأمريكا قرابة سبع سنوات جاب فيها مدن وأقاليم دول الغرب، كان آخر ما توجه إليه أن يكون داعية وخادماً للدعوة خارج المملكة، وضحى بكثير من وقته وصحته وماله في هذا المضمار، ومع علمه وفضله فإنه جم التواضع، يرى خدمة المسلمين ديناً وعبادة، حتى أنه يقوم بطهي وتقديم الأطعمة للفقراء والمحتاجين في الأردن.

حدثني عن نفسه: أنه في رمضان يفطر عنده ما يربو على ثلاثين رجلاً ينفرد هو وزوجته فقط لخدمتهم وتقديم وجبة الإفطار والعشاء للصائمين؛ والشيخ سعد أخ وحميم وصديق وفي، إلا أن الخلاف بيني وبينه حول عدم استقراره في توجهاته الدعوية، وقد يرى اليوم ما لم يره بالأمس، ويتفق مع شخص أو مجموعة في يوم ويختلف معه أو معهم في اليوم الثاني.

وهو حسب توجهه يدين الله بما يراه ويعتقده ولا يرى التقليد والمجاملة ولو في الظواهر الاجتماعية، ولعله بهذا تأثر بالغرب بعدم أكثراتهم إلا فيما اقتنعوا به.

المكتبات في الأردن (عمان):

ومما يلفت النظر كثرة المكتبات التجارية الدعوية، وقد تنفس المسلمون بعد الضغوط في سوريا، وأقاموا دور نشر لها إمكانياتها في نشر الفكر الإسلامي، والتوجه الدعوي، وباختلاف التوجهات الدعوية تكثر الخلافات بواسطة النشر والطبع والشريط، فكان للمكتبات أسواق رائجة تموج بالأفكار والانتماءات الإسلامية، وساعد على ذلك أن حكومة الأردن لا ترى بأساً من اختلاف بين الطوائف أو الهيئات الإسلامية مع إعطاء الحرية للكلمة في حدود مقبولة.

نضرب لذلك مثلاً في وقوع حادثة سمعت عنها وعرفت صاحبها: الشيخ أسعد بيوض التميمي زعيم الإخوان المسلمين؛ حينما خطب في مهرجان نعت الملك حسين بالقزم الماسوني، قال الراوي: وقد اعتقل الشيخ أسعد؛ وبعد فترة استدعاه الملك حسين لمعاتبته شخصياً، قال الملك: زعمت أن لا حرية في البلد، فقال أسعد: وأنا من أين جئت أمن بيتي؟ أم من المعتقل؟ فعجب الملك حسين لبداهته في الإجابة وقوة حجته، فقال له: اذهب فقل ما شئت فأنت في بلد حر، ويعطي الحرية لشعبه، ومع هذا فإن الملك كان يستفيد من التنظيم الإخواني أكثر من غيرهم في مجالات عدة، فوزير التعليم كان من الإخوان؛ والملك يطلع ويعلم جيداً جميع الاتجاهات وموقفها من الدولة، ومع هذا فهو يعاملهم معاملة الملك لشعبه على السواء.

مناخ الدعوة في الأردن:

تعتبر الأردن في نظري من أفضل البلاد الإسلامية، وبالذات العربية مناخاً

النظام لا يستعمل ضد الدعية إذا هاجم سياسة الدولة مباشرة أو تسبب في إثارة نزاع مع جمهور المصلين يصل إلى تقدي

وعلى هذا توجد جمعية نشطة للإخوان المسلمين؛ وتقوم جماعة التبليغ بعمل واسع؛ ولأهل الحديث تأثير واضح رغم ضعف حركتهم، وللأسف لا يوجد تعاون بين الجماعات الرئيسية الثلاث وإن كان هدفها واحد، وكل منها يقوم بجهد مطلوب يكمل بعضه بعضاً، وحتى في المناطق الم

تضمنت تحريضاً على العصيان بأنواعه، وللصوفية وجود يتمثل في الزوايا المتناثرة وحلق الذكر، ولكن ليس لهم من التأثير أو الانتشار ما للصوفيين في مثل المغرب والسودان والقارة الهندية.

ومشكلة الأضرحة تتركز في المناطق الفقيرة والنائية، ولكن نحسبها والله الحمد في أفول مستمر بسبب انتشار المعرفة في المجتمع الأردني أكثر منها في أي مجتمع إسلامي آخر، وفي المناطق الفقيرة خاصة توجد كثير من المنكرات مثل الذبح الشركي عند الضريح، أو حماية البناية الجديدة والسيارة الجديدة أو مؤنسة الميت، وهناك حساسية رسمية شديدة ضد إثارة أي نزاع بين المسلمين والنصارى، وكذلك فيما يتعلق بالوهابية ومع كل ذلك توجد حركة جيدة واتجاه قوي نحو الإسلام ورغبة في سماع الموعدة وتقبلها.

تصحيح الاتجاه:

تقتصر الدعوة على موضوعين رئيسيين: العقيدة وأحكام العبادات والمعاملات حيث تقوم الجماعات الإسلامية والهيئات الرسمية بمهمة الوعظ العام، ويطلب من كل داعية تنظيم وتحضير درس أسبوعي ينفذ في عدد من المساجد، وكذا الاشتراك في الجماعات الإسلامية الرئيسية، ومن ذلك الكسب السياسي والدعاية.

والدعوة نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله، وكذا مناصرة القضايا والشعوب الإسلامية، وكل هذه من ملزمات الدعوة، وللمشرف العام على الدعوة التابع لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، دوره الإيجابي في مناصرة الدعوة والدعاة وتعاونهم الشخصي الرسمي مع الجهات الدينية والرسمية هناك، وفي تعداد الدعاة التابعين للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، ما يجعل لهم دورهم الإيجابي في التغلغل في صفوف المنظمات الأخرى لغرض

الإصلاح والدعوة وتضييق الفجوة بين المنظمات الإسلامية العاملة، ويرتبط عمل الدعاة في الأردن وفي المناطق المحتلة برباط التعاون وتوحيد الاتجاه في تصحيح المفاهيم العقائدية، ولا سيما وأن حرية الكلمة تمنح كل داعية أن يقول ويناقش ويجادل، وهذا دليل على مصداقية ما ورد من الآثار على أن بلاد الشام تكون مهبطاً للمسيح - عليه السلام - ونزوله من السماء فيها فيكسر الصليب ويحكم الشرع ويدين الناس بدين الإسلام، والله الهادي إلى سواء السبيل.



وممن عرفت في الأردن

الشيخ ناصر الدين الألباني الأوشكودري

وفي عمان عاصمة الأردن التقيت بالشيخ ناصر عام ١٤٠٧ هـ وليس هذا أول لقاء بالشيخ بل كان ذلك عام ١٣٨٠ هـ في سوريا بدمشق وبالتحديد في المكتبة الظاهرية.

أبعت مجالسه في دمشق وحماة وكان إذ ذاك في بداية نشاطه وظهور نجمه في التأليف والرد والتحقيق، وقد أنشأوا جمعية أسموها جمعية الصراط المستقيم مقرها الرئيسي في حلب، ورئيسها الفعلي الشيخ محمد نسيب الرفاعي، وكان من ثمرة هذه الجمعية أن أوفدوا إلى المملكة ما يزيد على أربعين طالباً للدراسة في المعاهد العلمية، تزامننا مع الكثير منهم في معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٥ هـ وذلك بموافقة الملك سعود رحمه الله.

بقيت جمعية الصراط المستقيم وبتوجيه من شيخها الشيخ ناصر الدين الألباني ورئيسها الشيخ محمد نسيب الرفاعي تعمل عملها في بيان منهج السلف والرد على المناوئ وبالأخص في باب الأسماء والصفات، وفي الأمور التعبدية في بيان حد الابتداع في دين الله عز وجل، وكانوا إذ ذاك أيام الوحدة بين مصر وسوريا أعطيت لهم الحرية في الكلمة المسموعة والمقروءة.

وقد ضمّني مجلس لعلماء حمص أرباب العمائم والطرابيش التركية، فنالوا في مجالسهم من الشيخ ناصر، وأنه وهابي أشد من الوهابية حينما سألوني: كم تصلون صلاة التراويح؟ فقلت: عشرين والوتر، ودارت عجلة الزمن واستفحل أمر السلفية في سوريا حتى كاد شباب اليقظة ولو من الحزبيين أن ينضوا تحت لواء السلفية، غير أنه حصل خلاف بين الشيخ ناصر وبين الشيخ نسيب، فأنتهى أمر الوفاق بينهم، وأعقب ذلك إلغاء الجمعية، واتهام عبد الناصر لهم بالعمالة للسعودية، وتفرق الشباب، وبقي البحث والتحقيق والتأليف ديدن النابهين منهم كالشيخ عبدالقادر الأرنؤوط والشيخ شعيب الأرنؤوط وغيرهما ممن تتلمذ على الشيخ ناصر، وأخذ طريقه في التأليف والتحقيق، وناصرهم على ذلك صاحب المكتب الإسلامي الشيخ زهير الشاويش الذي يملك مطبعة للنشر " "

كانت زيارتي للأردن خاطفة وعاجلة، ولكن لمكانة الشيخ ناصر العلمية فلزاماً عليّ زيارته، رغم أنه قد برمج وقته وحدد مواعيد زيارته، التقيت به مع الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين المشرف على دعاة رئاسة البحوث العلمية في الأردن والشام، وتحدثنا كثيراً عن الجوانب الدعوية وما يجب أو ينبغي في استعمال الحكمة وبالأخص بين الزملاء والإخوان، وأثرنا نقطة الخلاف بينه وبين الشيخ نسيب: هل أزواج النبي ﷺ معصومات من الزنا أو غير معصومات ولكنه لا يقع؛ لهذه المسألة انشق الصف وتفاقم النزاع بين الشيخ ناصر والشيخ نسيب، وقد أصر الشيخ ناصر على هجر الطرف المخالف، وعدم الرضا عنه حتى يتوب إلى الله ويرجع عن هواه، ويعترف بما أراه أن أزواج النبي ﷺ معصومات من الزنا، أوردتُ هذا الخلاف لأستشهد به على شؤم النزاع وبالأخص بين علماء الدعوة وقادة الأمة، وقد أشرت إلى الشيخ ناصر بسيرة الإمام في هذا الزمان الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز وأسلوب دعوته مع المخالف، فقال: ذلك له شأن آخر، وأمثاله قليل، وأنتم شعب المملكة تحترمون العلماء، وتأخذون بأرائهم، وقلّ من يخالف، ولكننا في هذه البلاد

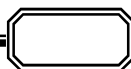
أبئنا بمن لا يعي وإن وعى فلا يفهم، وإن فهم فلا ينقاد - ليست هذه ألفاظ الشيخ ناصر ولكنها من مفهوم كلامه عفا الله عنه .
ذكرته بلقائي به في حلب عام ١٣٨٠ هـ وما جرى بينه وبين من ينكر الاستواء وقولك له: إما أن تعترف بأن الله في جهة أو لا تعترف، فإن اعترفت فالجهة هي جهة العلو، وإن لم تعترف فأنت تعبد عدماً. فتذكر الشيخ وقال: بهذا الجدل والمنطق نضرب أدمغة أهل التأويل والتعطيل فليس لنا قوة السلطان، ولكنه المنطق والجدل المبني على الدليل والعقل السليم.
بقي الشيخ ناصر وهو يتزعم الحركات السلفية بوصفه مرجعاً للفتيا والرأي. رحمه الله تعالى، وغفر الله لنا وله.



إسماعيل بن عتيق في الأردن

(٥) الرحلة الأولى للبحرين

مضى القول فيما مضى عن دولة الكويت وتسجيلي بعض الذكريات والمذكرات في تلك الدولة من عام ١٣٧٩هـ، وهاهو الحديث عن الدولة الثانية من دول الخليج (البحرين) الجزيرة المتاخمة لحد المملكة العربية السعودية شرقاً الفاصل بينهما مياه الخليج، ومن الخبر المدينة التجارية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية؛ الميناء والمرافأ مما يلي دولة البحرين امتطى اللنش أو اللنج الباخرة الصغيرة من الخبر إلى البحرين، وذلك في شهر ذي الحجة لعام ١٣٨٠هـ، حيث مضت بنا السفينة الصغيرة إلى المنامة عاصمة البحرين، ومن الصدف أو التوافق أن كانت الأجرة من الخبر إلى البحرين خمسة أرييل سعودي؛ وذلك لمدة خمس ساعات لأنزل في فندق شط العرب بخمس روبيات، نزلت ذلك الفندق، ولم يتحدد لي هدف وغاية في زيارة البحرين، ولكنه علق في ذهني وأنا أقرأ ديوان الشاعر الكبير محمد بن عثيمين مدائحه في آل خليفة حكام البحرين، قدح في ذهني لو حاكيت ذلك الشاعر النجدي بزيارة مقر الحكم والحاكم الشيخ سلمان بن عيسى آل خليفة، وليس لي من وسيلة سوى الشعر، فالشعر بضاعة الأدباء ووسيلة من وسائل الاستجداء؛ ولكن هيهات ذلك الشعر الرزين والقول المتين، شعر شاعرنا الكبير محمد العثيمين وأتى له محاكاته أو تقليده، إن الأمر صعب جداً، ولكن العطاء على



حاولت أن أنظم قصيدة في مديح الحاكم الميمون الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى فجاء على لساني تسعة وعشرون بيتاً من الشعر؛ بدأتها بالتشبيب كما هو مذهب شيخنا الأديب الكبير وسنة من قبله من شعراء العرب وهي كما يلي:
الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد: فهذه قصيدة في مديح عظمة السلطان سلمان آل خليفة حاكم البحرين قالها الشاعر إسماعيل بن سعد نزيل وادي الدواسر ذلك عند زيارته للبحري / / هـ:

خليلي ما أنكى الحياة من السقم

لفقد ذوات الخدر والردف والهضم

عراس كان العيش رغداً بربعها

بقرب حبيب عز في العرب والعجم

فقد كنا في نعماء يغبطنا المـ

ومسرح لذات مضت كما الوهم

نواصل تذكار الشباب مع الصبا

فنبكي بدمع ذكره لنا يدمي

فهيئات قد بان الصبا وانطوى المدى

فهيا لفعل الخير نرجع إلى الحلم

فما المرء إلا قارع سن نادم

إذا يكثر الأعمال بالوزر والإثم

فلأله أيام تقضت بلا أسى

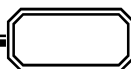
تمتع فيها كل عضو من الجسم

ولكن رزء الفقْد غير محجبي

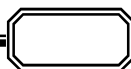
أقول لشعر في سلاله ضيغم

بلى إنه ذخر لكل مرزاً

فتجلو بذكر الشيخ فادحة الهم



فهذا أصيل المجد والمد والندى
فحيه يا ربع المحب وسلم
فقد كان شيخاً في صباه برأيه
كما كان محبوبك البطولة والفهم
توطد هذه العرش من أصل ماجد
بسم العوالي والندى للمسلم
فتشهد كارات ويشهد صارم
بأن الوغى في جانب الشهم كالمسلم
فلا عبئها يزجي بنيل عطائه
ولا هو بدع أن يخوض بذى الدهم
فشنشنة حرب العدى مخضعي الهما
كم مزنه يسقي جيوش العرمرم
فلأه شيخ قد حوى برده الندى
كما هو بؤس النزاعين إلى الظلم
فقد كان طوداً للعلا مرتع السخى
له قصدوا من بالحلال وبالحرم
كما عمت الأفار مطلع شمسه
ويحدو به الساري بليل مظلم
وإذا العيس تخذوا بلحن مرجع
إذا لم يكن شعر بمدح المكرم
وقد تنكر الأسماع مدحاً لغيركم
كما أن الشعر في غيركم من الجرم



فيا مستو على عرش مجد حكمه

عروش الملا تخضع لعرا ، الهينم

هنيئاً لكم آل الخليفة مركزاً

له تشراب العنق من أبهة الحكم

ومنزلة مرموقة تفلذ العدى

وكل حسود ليس له سوى الغم

فمرحى لكم مرحى أنتم السرى

وغيركم من جملة الصم والبكم

ولا أستطيع العدل إن قلت مدحك

فلا وصفكم يحصى بنشر ولا نظم

ولكن قليل من كثير فإنني

أرجي عفواً من سمو المعظم

فهذا من الجهد المقل أتيتكم

لأقصده في صوت عي ملعثم

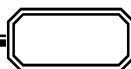
وعند ختام القول أختم كلمتي

بحوقلة تنب ، عن العجز في النظم

وصلّى الله على محمد وآله وسلم.

تعلقنا على ما تقدم أنها قصيدة قلتها في تجربة الشعر عام هـ، وهي لا تخلو من النقص في الأوزان في عروض الشعر، ولكن القافية موجودة لهذه الأبيات في ذلك الوقت هو الاستجداء والتعرف على مسيرة الحكام والقرب منهم، وقد وجدت إكراماً من هذا الحاكم إثر إلقائي هذه القصيدة وقال بلفظه: لا تروح حتى تأكل ذبيحتك؛ يعني الإكرام بذبح الذبيحة.

ولكن أعيد تحريرها للذكرى والاعتبار في سجل تاريخ العمر والله



الرحلة الثانية للبحرين

وفي ١٣٨٣/٣/٥هـ، عدت مرة أخرى لزيارة البحرين على أمل أن تمتد هذه الرحلة إلى بقية دول الخليج قطر وما بعدها، غير أن الشيخ سلمان قد انطوت أيامه، وأفل نجمه، وخلفه في الحكم نجلة عيسى، بدا لي أن أطرق بابَه بقريض الشعر مثل ما سبق مع والده، إلا أن هذه الزيارة للبحرين كان بصحبة مجموعة من الأحبة ممن ينتمون للدعوة والإرشاد، وإن لم يكن بيني وبينهم ذلك الارتباط الملزم بصحبتهم ومعيتهم، غير أن الضمير يؤنبني في استساغة المديح وقول الشعر مقابل دريهمات أو مكافآت لا تساوي ما يخسره المرء من دينه أو سمعته، وقال حادس آخر: ليس المال هدف وغاية إنما اللقاء بالأكابر ومعرفة أحوالهم ومجالسة الأعيان؛ هي من طموحات الرجال، والشعر وسيلة وليس بغاية المنال والعطاء، ولا سيما أن أهل هذا البيت لهم أصالة دينية ومشخة إسلامية ولا زالوا يترسمون خطى أسلافهم في مجالسهم العربية ونخواتهم القبلية، فهم بهذا يكرمون الوافدين ويشجعون القاصدين على مجالستهم ومحادثتهم، فكانت الإرادتان بين الإقدام والإحجام، وتم تنفيذ الإرادة الراغبة في الزيارة للحاكم الميمون الشيخ عيسى بن سلمان وبنفس الوسيلة التي كانت -رحمه الله، فحررت أبياتاً قليلة لأزج بها في نادي الأدب مجلس الحاكم الموقر، وعرض ما لدي من العطاء فكانت بمثابة الأولى وتكرم بالإجازة لما قلتها، وكانت هي الأولى والأخيرة إن شاء الله - ، وهاهي القصيدة للذكرى والتاريخ بفسها ونصها:

سعادة الحاكم الميمون الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، لا زال كعبة وذخراً لرواد الحلم والأدب؛ ويمناً لذي الشرف والنسب، لقد سعى بي الحظ أن وفدت إلى والدك العظيم، وقد كساني حلة لا زلت أرفل فيها بثوب العز والكرامة مما أطمعني أن أتزلف لسموكم بهذه الأبيات، وما هي إلا قطرة من بحور جود :

أحب نجواه لكن الهوى سقم

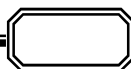
ويعتريني بفقد صاحب الألم

جاء الأنام وشاة في محبتنا

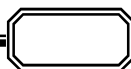
أعوذ بالله أن أكون مثلهموا

لولا اللبيب الذي أبدى محبته

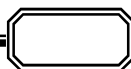
وثغره في صفاء القلب مبتسم



ما كنت أحاب أني في الهوى كلف
ني في شرك العشاق أقتحم
من الجن والإنس الذي عشقت
الله يغفر أن يبدو لي اللمم
وكم تغنى وأسلى في تلحنه
أرباب فن وأصغت أذنها الأمم
وشنفت مسمعا أعييت كواهلته
حمل الهموم فولى عنه منهزم
سلواي في دنياي أو شغفي
مجالس زانها بدر ومتسم
في عالم فاضل أو شاعر لبيق
أو من حماة عرين والعلالهم
الكل يستقيهمو من بحر همته
وتد تقيه بحور عندنا خضم
عيسى عسى عرشكم طود توطده
ما دامت الأرض والأنام والنعمة
قد اصطفاكم لنا ربي وأخلكم
حماة حق وساد الجود والكرم
ومعدن الجود من جرثومة لحقت
آل الخليفة والأصل الذي لهم
ما قلت شعراً ولا جمت سواقيه
ولا استقام لنا نثر ومنظم



حتى رأيت فعلاً وهي قائلة
الآن أكتب ما يملئني هي الحكم
أيادي عيسى لها منّ ونائلها
من قال بالضاد والأعجام بعدهم
حج الحجيج فلا تجزم بحفظهم
إلا الذين سقاها هاطل عمم
من كفه قد أعار الجود مسها
قد بارك الله كفاً ربها العلم
ليس الكثير إذا ما أمطرت سحب
عمت سواقيها من طبعه الكرم
الله يغفر للشيخ الذي حسنت
أفعاله وجميع الناس قد وصموا
بموته زعزع الأكام وارتجفوا
لفقد عرب العرباء والعجم
وحظنا منه نجل سار سيرته
واللاحقون لهم فضل إذا حكموا
مقسطون فلا تخشى بوائهم
والمصلحون نفوس شابها الألم
أناشد الله من شكت حوادسه
ها ، غيركم في سماء الجود يصتدم
وصلّ ربي على المختار سيدنا
شفيعنا يوم نار الكرا



البحرين، فندق شط العر

ه / /

وتعليقنا على ما تقدم أن هذه القصيدة رتلت في عام هـ، مديحاً لحاكم البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة تأسيساً بما عليه شاعرنا الكبير الشيخ محمد العثيمين الذي أشاد وأجاد في مديح الأسر الثلاثة آل سعود، وآل ثاني، وآل خليفة؛ وهم حكام العرب وزعمارهم في هذا العصر وهم أهل لما قيل فيهم ما دامت النية دمجياً - - ونعوذ بالله من زلة اللسان وسوء البيان؛



إسماعيل بن عتيق في البحرين

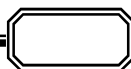
(٦) قطر

الجزيرة أو شبه الجزيرة؛ عاصمتها: الدوحة ومشايخها: آل ثاني من بني تميم. ما كدت أودع مجلس الشيخ سلمان آل خليفة حتى قدح في ذهني أن آل ثاني أولى وأحرى بالزيارة وحسن الرفادة، وفي ساعات من الليل أمضيتها من المنامة إلى الدوحة على ظهر سفينة شراعية في ليلة باردة وذلك بتاريخ ١٥/١٢/١٣٨٠هـ، ولمدة ثمان ساعات طويلة الليل فما أن أشرقت الشمس حتى رست السفينة في مرفأ الدوحة، ومن المرفأ إلى فندق (بسم الله) وأردفها بقولي: أعوذ بالله، حيث كان هذا الأوتيل غير لائق في نظافته ومظهره، فقد ترددت طيلة ذلك اليوم في البقاء في هذا الفندق ولا بديل عنه، ولكن الله يهيبئ الأسباب ويرزق ابن آدم من حيث لا يحتسب، فقد رأيت شاباً وسيماً ذا خلق وحركة وحيوية تعرف عليّ وعرفته بنفسه كما عرفني هو بنفسه، إذ نسب نفسه إلى النعيم أهل الأحساء، وهو وافد إلى قطر في هذا الفندق؛ يعاني ما أعانيه من ضيق وعنت في هذا السكن غير المريح، تبادلنا الحديث وتم الحوار والتشاور على أن نستضيف الحكومة القطرية فكلانا وافد وغريب، وتم الاتفاق على أن نصلي صلاة العصر في الريان مع الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني حاكم قطر، وفي الريان قصره ومسجده وضيافته، فكان ذلك في وقته، فقد صلينا صلاة العصر مع الشيخ علي، وفور الصلاة نهض المصلون، كما أن الشيخ خرج من ه تلة من المشايخ وطلاب العلم، وقد ج على مجالس من الطين بارتفاع نصف المتر من الأرض وهي ما تدعى عندنا في () .

وبعد جلوس الشيخ تقدم القارئ عبدالبديع صقر (مصري الجنسية) فقد أمره الشيخ محمد بن مانع شيخ الحاكم ومستشاره في البداية بالقراءة، وكان الكتاب (المصاييح).

ظل القارئ يقرأ والشيخ محمد بن مانع يوضح ويعلق، وبجواره الشيخ علي يستمع، وقد يسأل، حلقة تعليمية وروضة من رياض الجنة يتصدر هذا المجلس الحاكم العابد التقي الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني؛ وبجواره العالم العلامة شيخ التعليم في الجزيرة العربية محمد بن عبدالعزيز بن مانع -رحمهما الله، ظل صاحبي يتردد في الحديث مع من رآه خارج الجلسة ليخبره بأننا ضيوف والشيخ في حلقة التعليم لا يحسن السلام عليه ولا يتحدث معه؛ فجاء إليّ وقد أشار إليه أحد حراس الحاكم بأن يتوجه هو وزميله إلى ذلك القصر الأبيض والذي يبعد عن قصر الشيخ ومسجده قرابة خمسمائة متر، أشار لي صاحبي بالتوجه إلى ذلك القصر حتى نعرف مصيرنا قبل الليل، فنهضنا معاً وتوجهنا إلى ذلك القصر حيث نادى صاحبي بالاسم الذي أخبره به حارس الحاكم فظهر المنادي مرحباً مهلاً بالضيوف، وأخبرناه بأننا ضيوف الشيخ علي فزاد بالترحيب وفتح باب القصر، ثم تقدم إلى أحد الغرف فقال: تفضلوا هذا مسكنكم، وبادر بإدارة القهوة والتمر ثم قال: بعد صلاة المغرب يكون

فرحنا بهذا الاستقبال وبهذه الضيافة الكريمة من رجل الكرم والعلم والدين، صلينا صلاة المغرب وعدنا إلى قصر الضيافة وليس فيه أحد سوانا، وما هي إلا دقائق حتى جاءنا المضيف يحمل سفرة من الخوص، ثم عاد وأتى بصحن من الرز وعليه ذبيحة () .



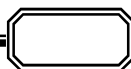
تعشينا على بركة الله، وبعد الفراغ من العشاء طلب صاحبي صابوناً لغسل اليدين، قال المضيف: لا نستعمل الصابون هنا، هذه ضيافة البدو وأنتم حضر فما الذي جاء بكم إلى هنا، أنتم تنزلون في القصر الأزرق في الدوحة حيث ضيافة الحضر وبها الصابون والملاعق والمرق إلى غير ذلك مما يأكله الحضر، بقينا معه في المداعبة فماذا نصنع بهذا الدهن في أيدينا، فقال: جرت عادة ضيوفنا في هذا القصر أن يمسحوا بأيديهم لحاهم وسيقانهم بالدهن وأنتم إن شئتم فافعلوا مثلهم، وغداً تذهبون إلى الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن الشيخ علي بن ثاني لينزلكم في قصر الضيافة الأزرق بالدوحة.

بنينا على بركة الله في ضيافة البدو، وفي الصباح الباكر توجهنا إلى الدوحة الشيخ عبدالعزيز وزير الدفاع القطري والذي يطمح أن تكون ولاية العهد له بعد أبيه، فما أن وصلنا إلى القصر حتى تقدمنا بالسلام على الشيخ الشاب الذي لا يتجاوز عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً، ولكنه يطمح في التعرف على الناس وتعريف الناس به.

بعد السلام عليه وشرب القهوة تقدم صاحبي إليه وعرف بي وبنفسه، وقال: ضيوفنا حياكم الله، ثم نادى أحد حرسه ليكلفه بإعداد سيارة لحملنا وأخذ امتعنا ثم إنزلنا في قصر الضيافة بالدوحة، فكان ذلك في فترات قصيرة.

القصر الأزرق أو قصر الضيافة بالدوحة قد صمم على شكل فندق أو مساكن بالفرش والأسرة والدورات النظيفة والمطبخ الذي يعد الضيافة بطريقة غير الطريقة التي كانت في قصر الريان (ضيافة البدو) في راحة وطمأنينة وإكرام مدة سبعة عشر يوماً.

رئيس التشرقيات هو أبو يوسف الهولي، وهو أشبه بالوزير المفوض في استقبال الضيوف وترحيلهم وصرف الإكرامية للضيوف، حاولنا التعرف على أبو يوسف الهولي ولكنه منصرف غاية الانصراف عن مثل هذين الصبيين أحسائي ونجدي، وكل بنا إلى مساعده يدعي بالأعضب وهو مقطوع اليد بالفعل، كان هو الذي يشرف على وجبات الطعام ويؤكد لنا أن الضيافة لا تتجاوز عشرة أيام، في كل مرة يتصدى له صاحبي بأننا لن نغادر حتى نتسلم الشرهة من الشيخ علي أو من الشيخ عبدالعزيز، ولذا فقد امتدت إقامتنا في هذه الضيافة سبعة عشر يوماً ونحن طالب بالشرهة وبتذاكر السفر لبلادنا، ولكن الأعضب ليس لديه أية صلاحية.



جاء دور الشعر في الاستجداء وطلب العون، وهل ستكون هذه القصيدة في الشيخ علي؛ أم الشيخ عبدالعزيز؛ أم الأستاذ الأديب أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات؛ الأول تقي ورع لا يقبل المديح، أما الثالث: فهو أديب وشاعر قد ينقد مقالتي وشعري؛ وغير لائق أن نمدحه وهو ليس أهل المدح فهو موظف ومكلف بمهام الضيوف، لكن الشاب الطموح هو الذي يتقبل القصيد والمديح ولو اعتراه نقص أو سوء تعبير، ثم جرى القلم بقصيدة مديحاً للشيخ عبدالعزيز فهو الذي أمر بالضيافة والإكرام؛ ثم بدا لي أن أكتب أبياتاً للأستاذ أبو يوسف حتى يتم صرف الشبهة.

وفيما يلي ذكر القصيدتين المشار إليهما، الأولى في الشيخ عبدالعزيز بن أحمد، والثانية في الأستاذ أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات.

هذه القصيدة قلتها وأنا في قطر مديحاً للشاب الأبى الشيخ عبدالعزيز بن أحمد

لم يكن في نيّتي مدح لثاني

غيرك يا عبدالعزيز بن ثاني

ولم يكن من طبعي حب التواني

بشيء إذا قصدت ذو المعاني

ولم يخطر بفكري مدح شخص

إلى أن سما لي شبل الزمان

وأبصرت عيناى شبه أسد

تمثل بالكمال بذى المكاني

فخفة روحه ملكت فؤادي

رشاقة نطقه أملت بياني

فأحمد قد أجاد وجادا

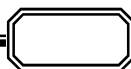
وأنت الوتر في شتى المعاني

وأنت الفرد بعد الله فينا

لغيرك لا نبوء ولا نعاني

وإن العارفين أتوني قالوا

وحيد في الأنام بلا تواني



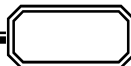
فقلت الشعر من غير امتلاك
لتحسين البديع من المعاني
فيا عبدالعزيز حجزت فكري
بمدحك والتثناء لآل ثناني
باسمك قد تفاءلت الشعوب
بأن الجود في ثبت الجنار
وأن الجود فيكم مستمراً
وأنتم أهله في كل آن
وأنت يا بطل العريس فينا
بمنزلة القرآن من المثاني
نحيبك والترحاب منا
وشيء في القلوب بلا امتنان
فأهلاً أنت لكل مدح
ولا يخفى لشمس من عنان
فهذا من مديحي وليس قصد
لشيء في القصيدة قد دعاني

تعليقتنا على هذا أن هذه القصيدة قلتها في زيارتي لقطر، وقد قام الأمير الشاب
بإكرامي وإنزالي في ضيافة الحكومة مدة إقامتي في قطر خمسة عشر يوماً، أعدت
نسخها للذكرى في سجل التاريخ.

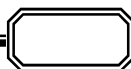
كتبت بهذه القصيدة للأديب الأستاذ أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات
مة قطر، قلتها وأنا في ضيافة الحاكم الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني وفي ذلك
هـ. / /

نرجي عسى فتحاً من الله قدرا

وما غيره يفتح إذا الأمر أعسرا



فقد طال هذا المكث من غير جدوة
ونحن كما طير بفخ تدهورا
فما قصدنا بذل السخا من ذوي الندى
جزى الله عنا آل ثاني وأكثرنا
فقد ذاع صيت الجود من دوحة الندى
وحج له جواً وبراً وأبحرا
فلا فضلهم ينسى ولا جودهم يخفى
ونشكرهم سراً ونشكرهم جهرا
أبا يوسف لا تعجبين من تعجلي
فقد طال هذا المكث والههم أسهرا
وإنني وما كنت بالشعر أبتغي
ولو كان ذا ساغ الشراب وأجدرا
أخي إنها من وصمة الدهر والأسى
إهانة طلاب العلوم كما ترى
ونحن ولا فخر لنا الأسوة التي
ترقى بها جد وعم وأشهرا
ونبني كما بنوا ونعلوا كما علوا
بآداب دين والسماحة أثرا
إليك قصيدي لا أقول تكلفاً
ولكنه عفو الخواطر إذ جرى
سأذكر من أفعالك الغر لأخوتي
فيثنوا كما أثنت سراة لمن سرا
ولي جفوة منها استعاذ ذو التقى



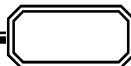
وحتى شرار الناس منها تسترا
فيا لائمي دعاي فذا من سيجيتي
ولا الطبع في مر الزمان تغيرا
فكم طفت في أرض وكم شربت في يدي
حوادث دهر والمعاش تكدر
فلم أتزعزع عن شرفي ولا
أساير أبناء الزمان لاتجرا
أودعك الله فاسمع نصيحتي
لما كان من شعري وللنقص فأعذرا
بضاعتي مزجاة بذني الفن بل ولا
أحيط بما قد حاظ من لي تفاخرا

في قطر ثلاثة يُذكرون ولا يُنكرون:

- الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، من مواليد عينة بالقصيم سنة
هـ، طوح في الديار لطلب العلم وله مشايخ كثر في الشام والعراق، تولى
القضاء في قطر في عهد الشيخ
الملك عبدالعزيز ليكون منظماً للتعليم، وكان مديراً عاماً للتعليم في المملكة، والشيخ
انع يجمع بين الفقه والإدارة، طلبه الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني عام هـ،
ليكون بجواره مستشاراً شرعياً ومعلماً في مجالس الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني عام هـ،
طلب حاكم قطر، قد عاش معه وبمعيته حتى عام هـ. رحمه الله، والشيخ له
يد طولى في طباعة الكتب المختارة من كتب المذهب على نفقة حكومة قطر، جزاهما
الله خيراً.

- الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس محاكم قطر وتلميذ الشيخ محمد
المانع، برزت شخصية الشيخ بن محمود بما ألفه من كتب وما أظهره من اجتهادات
واختيارات؛ كان محل البحث والنقاش بينه وبين علماء الرياض، والشيخ عبدالله يتقد
ذكاء وفطنة وله أسلوب بارع في الخطابة والكتابة، وإن غلب عليه السجع غير
المتكلف؛ يعتبر الرجل الثاني في قطر من العلماء.

- رو الدرويش، ومن أعيان قطر ومن طلاب الشيخ بن مانع، له
دور هام من حيث التعريف بالذوات والأشخاص الوافدين إلى قطر، بل له ضيافة



يستقبل فيها كما تستقبل حكومة قطر، وفي مجلس عام من مجالسه تحدث عن خلاف وقع بينه وبين رئيس محاكم قطر في أرض بساحل البحر دفنها ثم عمرها، وانتهت القضية بمراجعة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية حيث اعتذر سماحته عن الإفتاء بوجود الشيخ محمد بن مانع في قطر، قال الدرويش: وقد أفتى الشيخ محمد بن مانع بجواز الإحياء والتملك الشرعي للأرض المذكورة.

الرحلة الثانية إلى قطر

مضت الأيام والسنون، وفي عام هـ عدت إلى قطر في لمة المرشدين والدعاة، وكررت زيارة قطر في كل صيف نجوب قراها وشواطئها في المساجد ومدارس والأندية؛ بمعية من المشايخ والعلماء من المملكة العربية السعودية، وقد انتفعنا ونفع الله بنا إن شاء الله، ولننا كل تجاوب ومحبة من أهل قطر ومن مشايخ آل ثاني جزاهم الله خيراً.

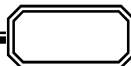
في خيمة بدوي:

في أثناء الجولات ظهر لنا خيمة وبها بدوي قد اتكأ على شداذه؛ وأوقد قهوته لوحده في هذه الخيمة أو الشراع، دلنا إليه وبدأنه بالسلام؛ فرحب وهلل وتشرف بالزيارة في خيمته في هذه الصحراء التي قل من يغشاها من المارة أو : قصتي أنا شاعر نبطي ولي قصائد في ربيب نعمتهم تفضاوا علي وجادوا، وهذه الخيمة لم أمكث فيها عن حاجة وعوز ولكنها هويتي وطبيعتي البدوية، أنا متزوج من مصر وكذلك ولدي ونسكن فلة خضراء بها الحدائق، ولكنني لا أرتاح إلا في هذه الخيمة. حدثنا الأعرابي عن قصة زواجه في مصر، قال: ذهبت إلى مصر وأنا لا أعرف أحداً؛ فوجدت جندياً وسيماً، فحدثتني نفسي لو كان لهذا أخت لخطبتها، فتقدمت له وعرفته بأنني من أهل قطر ومن أخويا الحاكم وجئت أبحث عن زوجة، وقد توسمت فيك الصدق فهل لك أن تساعدني على طلبتي، قال الجندي: من يلبي طلبك إن شاء الله، قال: فتواعدنا بعد نهاية نوبته أن ينطلق بي حيث شاء وأراد للغرض المشار إليه.

في بيت العروسة:

انطلقنا سوياً حتى أتينا إلى حي من أحياء القاهرة فأشار إلى شقة وقال: عليك أن تفرع بابها وتطلب مقابلة صاحب الشقة وتعرض عليه حاجتك؛ ولا تخبره أنني أتيت بك إلى هنا، قال: ففعلت وفتح لي غير أنني لم أجد رجلاً، وطلبوا دخولي إلى حين مجيء صاحب الشقة، وبعد فترة قصيرة دخل رجل على أكتافه نجوم ثلاثة (ضابط كبير) أجمل ممن رأيت، وبعد التعريف عرضت عليه حاجتي فرحب وهلل وقال: سنقضى حاجتك؛ وموعداك غداً في وقت حدده لي، وفي الوقت المحدد عدت، فإذا هو جمع ما يزيد على ثلاثين امرأة منهن فتيات ومنهن كبيرات، فدعاني وقال: انظر من تشاء، قال: فخرجت واعتذرت من هذا العرض وقلت له: أنا قصدتك ولم أريد غير ما تختاره لي من أقاربك، قال: فدخلنا داخل المنزل وأنت امرأتان وقال: اختر أيهما، هاتان من أقاربي، قال: هن يخترن؛ من يختارني أختاره، قال: إحداهن يدها وقالت: أنا أريده، قال: والثانية تكون لولدي.

بقينا مع هذا البدوي وهو يحمس قهوته ويدقها ويسقينا فترة ما بين العصر إلى المغرب، وجاء دور الشعر فقلنا له: حدثنا عن قصائدك ومواقفك مع الملوك، فكان موسوعة شعرية نبوية أعطاه الله من الذكاء والفتنة والفصاحة ما يستدر به عطف



الملوك؛ بحسن منطقته وبساطة مظهره ولباقته في المدخل؛ البدوي المذكور من آل مرة كما ذكر لنا، وهم يكثرون في قطر كما يكثر في قطر بنو هاجر والمناصير، ودعناه ونحن في شغف ورغبة في تكرار الزيارة وفي هذه الخيمة، ولكن كانت هذه الزيارة وداعاً أخيراً ولم نره بعدها.

في قرية الوكير:

حيث يسكن آل عبدالرحمن من آل ثاني لغرض الدعوة والإرشاد، ذهبنا إلى الوكير والوكرة لنصلي صلاة المغرب هناك، وبعد أداء الصلاة تقدمت بإلقاء الكلمة بعد صلاة المغرب في مسجد يغص بالمصلين إلا أن في آخره ضوضاء الأطفال والشباب المراهقين، كان مزعجاً وغير مؤدبين في أداء الصلاة في المسجد، مما

على أن ننصرف فوراً وهم منشغلون في أداء السنة حتى لا يلزمونا بالدعوة إلى العشاء والمكث عندهم وفعلنا، ولكن ما كدنا نصل إلى الخط لنستوقف سيارة الأجرة حتى لحق بنا من يقول: على هونكم على هونكم، الشيخ يقول: ارجعوا للعشاء، فاعتذرنا، وألح علينا حسب ما أمره به الشيخ، فامتنعنا عن العودة، وعاد وأخبر الشيخ بأنهم لم يقبلوا.

وفي وقتنا وبعد دقائق لحق بنا الشيخ سعود بن عبدالرحمن بن ثاني حتى وقف بجوارنا وقال: تفضلوا اركبوا، وكأنه أمر لا خيار فيه، ثم ذهب بنا إلى قصر من قصور أعمامه وفيه العشاء بحضور جمع كبير من البادية، وبعد العشاء استأذنا في الخروج غير أن الشيخ سعود بن عبدالرحمن أمرنا أن نصحبه إلى بيته ففعلنا. أخذ معنا في الحديث، من أين؟ إلى أين؟ وأخبرنا بمهمتنا فشكر لنا، وبعد شرب الشاهي والقهوة استأذنا في الانصراف فأذن لنا وقال: نوصلكم إلى الدوحة، وتقدم لنا بإعطائنا ظرفين مختومين لا ندري ما بهما، غير أن صاحبي اعتذر عن قبول مثل هذا فقال الشيخ: نحن نهدي لزوارنا وإخواننا، ولو من آل ثاني مثل هذا، فاقبلوها منا هدية لا صدقة، فأقنعت صاحبي بقبول الطرفين، وتم ذلك بحمد الله شاكرين له.

رحلة دعوية في قطر

الحمد لله وحده: كانت الزيارة لقطر من ٥ / ٥ حتى ٥ / ٢٦ عام ١٣٨٩ هـ حيث أقمنا بها إحدى وعشرين يوماً مارسنا خلالها النشاطات الممكنة، وقد ركزنا على الزيارات الشخصية؛ ومحور الحديث الدعوة والدين؛ كما قمنا بجولات شاملة على أكبر عدد من المساجد لإلقاء المواعظ فيها؛ وقد أتيح لنا الصلاة والخطابة يوم الجمعة بدلاً من الأئمة الرسميين؛ وقد لمسنا بهذا أننا قد أدينا بعض المجهود مع ضيق الوقت وقلة الأنصار؛ ومن برامج الزيارات التي قمنا بها ما يلي:

- زيارة الحاكم الشيخ أحمد بن علي آل ثاني وذلك لمرة واحدة؛ وكان ذلك بتعريف من الأستاذ عبدالبديع صقر مدير

- الشيخ أحمد بن قاسم آل ثاني في الغرافة بين الدوحة والريان.

٣- آل عبدالرحمن في الوكير؛ وقد التقينا بالشيخ حسن وعبدالرحمن بن سعود آل ثاني وكانت لقاءات موفقة ولها وقع في نفوسهم؛ وعلى وجه العموم لمسنا منهم حب الدين وإقام الصلاة وتقديراً لأهل العلم؛ إلا أن تلقيهم الدين فطري ومن غير دراسة ولا تعمق في مفاهيم الإسلام؛ لذا فإن من السهل أن يذوبوا في المجتمع الجاهلي وأن يتأثروا بمن حولهم؛ ولا زالوا يعيشون البداوة وحب الجمل؛ وجل من حولهم بادية آل مرة وقليل من الهواجر والدواسر.

٤- كما قمنا بزيارة العلماء الشيخ عبدالله بن محمود؛ والشيخ أحمد بن حجر؛ والشيخ عبدالله الأنصاري؛ والسيد طه أحمد الحسيني؛ وهؤلاء الأربعة هم المشار إليهم كعلماء يحملون مسمى العلم ويمثلون القيادة الدينية في قطر؛ وقد جرى الحديث معهم في أكثر من مناسبة حول ضرورة القيام بالدعوة وملء الفجوات في نفوس

- ستخلصنا منها بعض المعلومات عن المناهج وسير

الدراسة في المواد الدينية وبعض معلومات عامة عن التعليم.

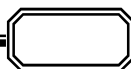
٦- المحاكم الشرعية، وهي محكمتان الكبرى وبها فضيلة الشيخ عبدالله بن محمود؛ جهاز مستقل ويتبعها إدارة الأوقاف؛ وشؤون المساجد في قطر، والصغرى وبها فضيلة الشيخ أحمد والظاهر أنه ليس بينهما ترابط في الإدارة والتنظيم ولكن الكل يحكم بما يحال عليه من قبل المحكمة العدلية التي يرأسها الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد ونائب الحكم.

- دار الكتب التي تعتبر المأثرة لآل ثاني لإحياء التراث الإسلامي وتوزيع نأ؛ والمشرف العام هو الأستاذ عبدالبديع صقر ولها بناية ضخمة وجهاز

- عرجنا على القرى التالية وألقينا فيها مواعظ وهي الخور والريان والغرافة والوكرة والوكير ودخان وأم سعيد؛ وهذه أهم مدن وقرى قطر، والمنطلق لهذه القرى الدوحة العاصمة المعمورة وعلى ضوء ما عرضناه فإننا نحصر الحديث في أربع وعليها يدور فلك الأعمال وبها يعرف جوانب الإصلاح وهي:

- العلماء القضاة ومن يحاكيهم في المظهر والمخبر.

- الشباب يدخل فيهم عمال الشركة والمدرسون والطبقة الواعية فيهم.



- السواد الأعظم: أعني عامة الشعب ما سوى الأصناف الثلاثة؛ والحديث عن هؤلاء الأربعة حول نقاط الضعف التي قد تكون حجرة عثرة في سير العاملين، أو تكون سبب هزيمة للمقومات الدينية في المجتمع؛ وقد تحرينا في ذلك كل ما هو صحيح وواقع

أ- آل ثاني وعلماء رأسهم الحاكم وأسرته القريبة يحكمون البلاد حكم قبلي؛ جرياً على ما هم عليه قبل موارد الثروة وعجزاً منهم عن إدارة الأعمال وفق مقتضيات العصر ومتطلباته؛ ولم يتجه آل ثاني للإصلاح الجذري لا في نظام الحكم ولا في المقومات المعنوية؛ حتى في صفوف شبابهم فضلاً عن الشعب أو رجال العمل؛ وقد لمسنا تدمراً يبدو من فلتات الألسن على نظام الحكم القائم؛ وخاصة التصرفات في موارد البلاد بما لا يتفق مع مصلحة الجمهور، والأنانية الكاملة من آل ثاني، واعتبار غيرهم أمراً ثانوياً؛ وهذا شيء مؤذن بخطر، وأخذ في التزايد وليس له من مقاومة غير التسليم المطلق لما تجري به الرياح؛ ويكثر الحديث عنهم في الخلافات الجزئية بينهم وانقسامهم على أنفسهم وما يملكه كل منهم؛ سواء كان في قطر أو خارجه وتكاليف القصور المترامية الأطراف بالحدائق الغناء ووسائل الراحة؛ ورغم هذا فإنه لم يطرأ إصلاح وتجديد حول رغبات الشباب مما قد يخفف من سورة الغضب عليهم؛ اللهم إلا في مجال الترفيه وعدم الرقابة الجادة على وسائله.

ب- العلماء: وهم أقل من عدد أصابع اليد الواحدة وعلى رأسهم فضيلة الشيخ: عبدالله ابن محمود القاضي الشرعي الأسبق؛ بعيد عن إدراك تطورات العصر؛ عندما سألناه عن النوادي الرياضية في قطر ومدى صلته بالشباب أجاب: بأن هذه النوادي شر محض؛ ونحن نطالب بإغلاقها وعدم السماح بتجمعات الشباب؛ إلا ما شرع فيه التجمع كدور العلم والمساجد؛ وهو بهذا يطلب محالاً ويسعى لمعدوم؛ كما ذكر لنا عنه أنه إلى عهد قريب لا يصدق بخبر الهلال إذا كان مصدر الخبر من الإذاعة؛ هذا نموذج من جموده وعدم اعتداده بكل ما هو جديد وصالح؛ ولكنه في مجالسه عالم فقيه يمثل الطبقة الأولى من علماء نجد وصالحيتها؛ وللناس عليه مأخذ قد يكون أكثرها ناتج عن سبب طبيعة العمل؛ ولأن هنا من يسخط بعد سقوط الحكم على خلاف ما يهوى وعلى العموم فهو رجل فاضل من الطراز الأول؛ له ما كسب وعليه ما اكتسب.

ج- الشيخ أحمد ابن حجر: مطلع ويريد أن يفهم كل شيء على وجهه الصحيح؛ ويقتني كل كتاب يصدر مما جد من الكتب الإسلامية؛ إلا أنه انزوائي لا يختلط بأحد ولا يعمل في غير وظيفته؛ لعل ذلك ناتج عن شعوره بأنه ضعيف في البلد وليس من أهل البلد الأصلي، أو أن ظروف عمله تقتضي ذلك.

د- أما العالم الثالث فهو الشيخ: عبدالله الأنصاري قطري المنشأ والولادة؛ وهو عالم فاضل غيور يتشبه بالدعوة ويقوم على تغيير المنكرات؛ وهو يقوم بإدارة الشؤون القروية؛ وقد كان له كلمة مسموعة لدى الحاكم، ولكثرة ما يراجعهم في انتشار المنكرات فقد خفت كلمته وضعف جانبه؛ إلا أن له شعبية ومحبة عند الناس، وهو على ما يظهر من الرجال العلماء والقائمين بأمر الله؛ وله ابن شاب صالح خريج الجامعة الإسلامية يرجى له مستقبل حسن وتوفيق من الله.

هـ- أما السيد أحمد طه الحسيني؛ فقد قدم قطر منذ عشرين سنة كما قال بعد جولاته في الحجاز والظهران؛ وقد استقر به القرار إذ عينه الشيخ علي بن عبدالله الحاكم الأسبق إماماً وخطيباً لمسجد جامع أم سعيد؛ وهو أزهرى، وقد شارك في

حرب فلسطين عام ١٩٤٨م كما يقول؛ يحسن الوعظ والخطابة الارتجالية وهو على جانب من الدين وحب الخير والعطف على الغرباء وخاصة جماعته اليمينيين الشماليين؛ ورغم أن وظيفته مرشد فهو لا يقوم بغير الخطابة في المسجد يوم الجمعة؛ ومن حيث المعتقد فقد ذكر لنا عنه أخطاء عقائدية، والظاهر أنه لا يعدو أن يكون أشعرياً في الصفات؛ وله حديث في السياسة واطلاع على الأنباء العالمية وتتبع السياسة العربية؛ وهو يميل حيث القوم مالوا؛ هؤلاء هم العلماء لنستطيع أن نقول من خلال ذلك: إن قطر قفر من العلم والعلماء صفر اليمين في التوجيه الديني؛ وكلهم

الشباب ومن في حوزتهم من مثقفي عمال الشركة خريجي المدارس ومن يدعون بالطبقة الواعية إذا صحت التسمية.

قطر في سطور:

- منها
- القضاة الشرعيون والقاضي المدني واحد نائب الحاكم.
- المدارس الابتدائية ؛ والمتوسطة سبعة؛ وثانوي عام اثنين مهني اثنين ثانوي معلمين اثنين
- لا يوجد غير وزارتين المالية والمعارف.
- أسرة آل ثاني يتجاوزون ستمائة رجل.
- تكثر النوادي الرياضية غير الثقافية سوى نادي الشركة.
- تعرض أفلام سينمائية وبشكل غير رسمي وبكثرة.
- ر على المملكة في كثير من الواردات الاقتصادية.

الخاتمة: يلاحظ التقرير الشخصيات وهذا

ضروري لزواية حيث جتهتم فهم أيضاً

يكن وية والتشهير المشاهدات كثيرأ هذا أهمية

بها بغية التوفيق. ه

حرر بتاريخ / / ه

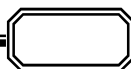
حضرة الأستاذ الجليل عمر تهاني ناجي مختار سلمه الله وعافاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وقع في يدي كتابكم (تحفة الودود) في ترجمة علامة قطر عبدالله بن زيد آل محمود؛ وهو البحث الفائز بجائزة المسابقة الأولى عام ١٤٢٣ هـ نهنيك لهذا التوجه علام وترجمة علماء الإسلام فإنهم القادة والمثال للا

الشيخ عبدالله من أفاذ العلماء ومن له الصدارة في العلم والقيادة مع شرف النسب وطيب المحتد؛ إذ ينتسب إلى البيت الشريف وهو داخل إن شاء الله ف

صلى الله عليه وسلم وآله- وقد عرفت الشيخ مثل ما يزيد على أربعين عاماً بل بالتحديد عام ١٣٨٠ هـ ومن بعد هذا التاريخ تكررت زيارتي لقطر في زيارة شخصية وأعمال رسمية؛ منها القيام بالدعوة إلى الله في مناطق الخليج عام ١٣٩٥ هـ وما بعده؛ وكان يصحبي في هذه المهنة أخونا الدكتور سعود الفنيسان وجرى اللقاء بالشيخ مراراً وتكراراً ولذا كتبت عنه ضمن من كتبت في كتابي: (أعلام وعلماء



عاشتهم) وأوضحت بعض ما يجب له من الإكرام والتقدير وما هو عليه من مكانة علياء ومقام أسمى؛ وهو يستحق الإكثار، فمناقبه عديدة ومساعيه حميدة؛ لا سيما وأنه قد أمضى حقبة من عمره في خدمة الدين والدولة في المملكة وفي قطر فهو بحق زعيم ورائد ومصلح ومجدد يغفر الله له؛ وبعد الاطلاع على كتابكم (تحفة الودود) وبالأخص ما أوردتم في صفحة ٩٢ مما نقلتموه عن الدكتور محمد الشويعر وما قاله الشيخ زهير الشاويش؛ وما قاله إسماعيل بن عتيق؛ كان بودي قبل تحرير ما (تاريخ من لا ينساه التاريخ)

ليس فيه توضيح؛ كما وددت أنكم اطلعتم على فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم؛ وبالأخص الجزء الخامس وفيه كتاب الحج الذي ضمنه الرد على الشيخ عبدالله بن محمود؛ وقد ذكر سماحة المفتي في فتاويه أن الشيخ عبدالله بن محمود أطلعه على كتابه بعد أن نشره ووزعه وطبع منه الألوف فرغب من سماحته إعطاء رأيه في الكتاب؛ فعجب الشيخ المفتي كيف يطلب رأيه وقد وزع الكتاب في الداخل والخارج؛ ثم إن سماحة المفتي هم بالرد عليه غير أنه رأى إبلاغ ولي الأمر الملك سعود عن هذه الرسالة وما كتبه الشيخ بن محمود في مناسك الحج مناهض لما عليه ا

الشيخ: وبعد مدة ليست بالطويلة؛ حضر ابن محمود الرياض وجرى البحث معه في ما كتبه بحضور بعض المشايخ والإخوان؛ فأظهر الشيخ ابن محمود الندم والتوبة والرجوع عما قاله وكتب هذا بقلمه؛ قال المفتي: فحمدنا الله على توبته وإنابته؛ إلا أنه رغب أن يكتب كتاباً فيه تفصيل وتوضيح يناقض ما كتبه في المناسك؛ فكتب ابن محمود كتاباً آخر ووعد بإعداد كتاب ينقض ما كتبه في الكتاب الأول؛ ونص الرسالتين من الشيخ عبدالله بن محمود مضمنة في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم بنصها وفصها؛ ثم ذكر سماحة المفتي أنه مضى زمن ليس باليسير ولم يف الشيخ عبدالله بوعدته وتوبته ورجوعه؛ فلذا قام الشيخ محمد بن إبراهيم بكتابة الرد؛ وما نقلته عن الشيخ زهير أنه لم يتراجع عن رأيه فعل هذا أخذاً بما استقر عليه رأي الشيخ في عدم الرجوع بعد ما استقر في قطر وابتعد عن المحاسبة والمناقشة؛ وفي ما نقله الدكتور محمد الشويعر: (عني لم يكن الشيخ محمد صاحب قلم وردود على أحد) العبارة فيها نقص كثير؛ إذ أنني عللت هذا بعلة منها: انشغال الشيخ في التعليم قرابة خمسين عاماً؛ وقد يكون في الردود عليه شهرة وإثارة لشبهه مغمورة؛ كما ذكرت أن السلطة إذا كان لها يد في الاصطلاح فهو أولى من الردود التحريرية، وذكرت ثلاثة أمثلة وهي أن الشيخ: عبدالرحمن بن سعدي ألف رسالة ذكر فيها أن أجوج ومأجوج هم الصين؛ فاستدعي إلى الرياض من عنيزة بحضور الملك عبدالعزيز وجمع من العلماء؛ فرجع الشيخ عما رآه وذكر أن الكتاب لم يطبع وإنما هو رسالة مخطوطة؛ وإذا يرى العلماء خلاف ذلك فإنني لا أخالفهم؛ والمثال الثاني الشيخ: عبدالله بن محمود حينما ألف رسالته في الحج استدعي في مجلس الملك سعود وبحضور ا

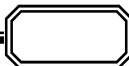
وجرى ما جرى مما ذكرته؛ أما الثالث فهو ما كتبه الشيخ: سليمان بن حمدان في عدم جواز نقل مقام إبراهيم من مكانه توسعة للمطاف؛ فسماحة المفتي رد على ابن محمود وعلى ابن حمدان؛ أما ابن سعدي فلم ينشر كتابه إلا بعد وفاته. وقد ورد في كتابكم عبارة المناظرة بين الشيخ عبدالله وعلماء الرياض؛ والصحيح ألا مناظرة ولا جدل؛ وإنما هو بحث ومذاكرة؛ فالشيخ عبدالله يعتبر من رعايا السعودية مولداً ونشأة وتعليماً وعملاً؛ كما أن تواصل الدولتين السعودية والقطرية إلى عهد قريب تواصل محبة وإخاء ووفاء؛ بحكم التوجه العقدي والمذهب الفقهي وصلة الأسلاف بين آل سعود وآل ثاني؛ وبهذه المناسبة فإنني أذكر لك أنني

كنت في مجلس الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني حاكم قطر آنذاك وهو في لبنان بعالية (الجبيل)؛ وقد جاء الخبر بدخول شهر رمضان في المملكة؛ غير أن الشيخ عبدالله بن محمود لم يعلن دخول شهر رمضان حسب رؤية المملكة، فأمر الشيخ علي أن يبرق : نحن تبعاً للسعودية في القديم والحديث.

هذا وفي الختام أشكر لكم زيارتي في منزلي المتواضع بصحبة الأخ الأستاذ عبدالإله الشايع بعد عصر يوم مبارك؛ كما أتمنى لكم التوفيق والتسديد في توجهاتكم إبراز العلماء والأعيان؛ ولا يكون هدفكم نيل الجائزة فتحملكم على التصنع والمجاملة فإن الحق عليه نور فاصدقوا الله يصدقكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

:

إسماعيل بن سعد بن عتيق



وممن عرفت في قطر

الشيخ عبد الله بن زيد ابن محمود

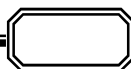
علامة قطر ورئيس قضائها ينتسب إلى البيت الشريف آل النبي §
كانت ولادته في حوطة بني تميم، وتتلذذ علي علماء الرياض، وطلبه آل ثاني حكام قطر ليكون مفتياً ومعلماً فكان كذلك، فقد أكمل دراسته على العلامة الكبير الشيخ محمد المناع.

وفي عام ١٣٨١هـ كان لقائي بالشيخ عبدالله بن زيد ابن محمود في الدوحة عاصمة قطر، حيث كنت ضيفاً على حكومة قطر، والتقيت بالشيخ عبدالله في منزله وفي مكتبه حينما كان رئيساً للمحاكم الشرعية، وقد أكرمني وزاد في إكرامي حيث كان ممن يعتر بضيافة الأضياف، وبالأخص من يقدم عليه من جنوب الرياض، ولقد رأيت في الرجل حب الزعامة والقيادة والظهور على أضداده وأنداده، بارع اللسان، ساطع التبيان، جهوري الصوت مع دقة في صوته، ولكنه يرفعه ويعليه، رأيته وهو يملئ على كتبه وموظفيه بصوته العالي ويكرر ما يمليه حتى يكاد يحفظ من كثرة ترداده، وذلك للتأكيد على كتابة ما يقوله وتحضيره.

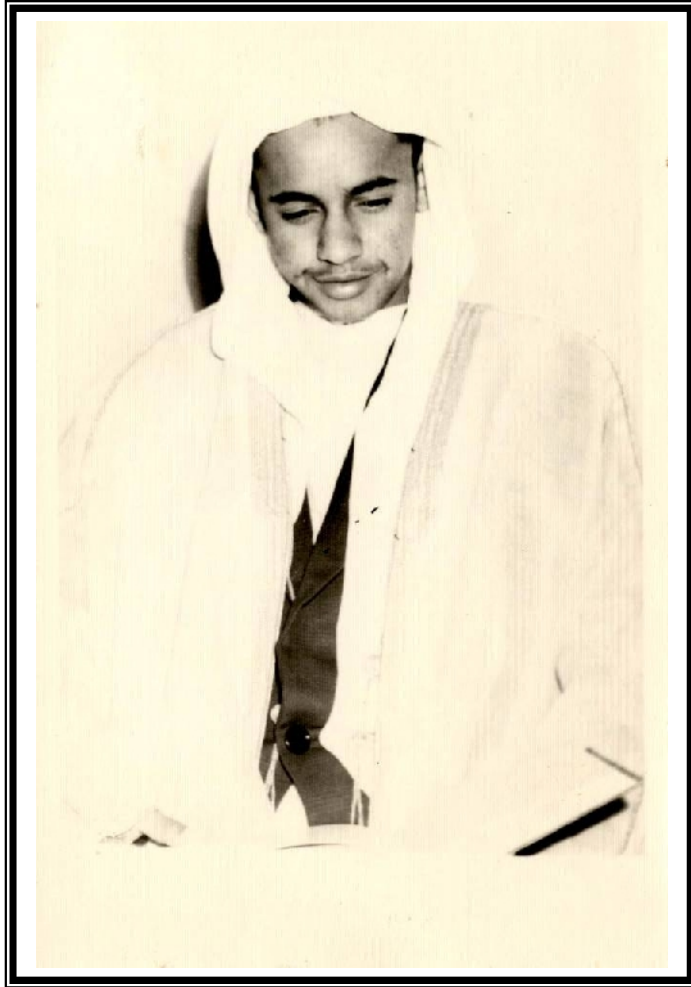
بلغ الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود السؤدد والمنتهى عند أهل قطر وبالأخص آل ثاني وأعيان البلد، وقل أن يصدر أمر فيما يخص الدين إلا وللشيخ عبدالله رأيه المقدم فيه، كما كان يصلح ويتدخل في شؤون الأسر والقبائل إذا لم يجبر الأمر مجري الحكم الشرعي، وقد ألف وكتب في مسائل اتفق عليها أو رآها على ما كتبه في جواز رمي الجمرات قبل الزوال في أيام التشريق، ومثل ما رآه في مدائن صالح من أنه لا حرمة لها ولا بأس من السكنى فيها، وفي أشياء كثيرة رد فيها على العلماء، وكانت بينه وبين الشيخ عبدالعزيز بن رشيد تبادل ردود، وأخيراً ألف كتاباً عنونه بقوله (لا مهدي ينتظر بعد خير البشر) رد عليه الشيخ حمود ابن عبدالله التويجري في مجلد، وكان سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رد على المحمود في المناسك رداً قوياً، لأن الشيخ عبدالله بن محمود وعد بالترجع عن ما قاله فلم يفعل.

تكررت زيارتي لقطر وفي كل حين أتوجه إلى منزل الشيخ أو مكتبه للسلام عليه، فأجد الترحيب والإكرام، وهو لا يضيق ذرعاً بالضيوف ولكنه يفتح صدره، ويُسر بمن يقدم عليه، وقد أوسع الله عليه بديناه، كما أن في ذريته من خلفه في رئاسته المحاكم الشرعية وهو ابنه الأزهرى الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله ابن

حدثنا قاسم درويش فخرو وهو من تجار البلد وأعيانها، قال: كنت دفنت ساحل البحر فأقمت عليه البناء، وكنت بهذا قد أحبيت أرضاً ميتة بالدفن والبناء، إلا أن الحكومة اعترضت عليّ ورفعت ضدي قضية لدى الشيخ عبدالله ابن محمود، قال: فحكم عليّ الشيخ عبدالله بأن أرفع يدي واعتبر ما فعلته تعدياً على الأرض الموات، ولكنني راجعت الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني الحاكم في وقته، وطلبت منه أن يأذن لي باستفتاء الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية، أو يطلب الشيخ محمد المناع بأن يعطي رأيه في المسألة، قال الشيخ قاسم درويش: فطلب الشيخ علي بن ثاني من الشيخ محمد المناع وكان آنذاك جليسه وأنيسه فاعتذر الشيخ محمد المناع عن الفتوى، ولكن أنا أكتب للشيخ محمد بن إبراهيم في الموضوع فكتب للشيخ محمد بن إبراهيم فكانت الإجابة أنت والد الجميع ولا يمكنني أن أفتي في بلد وأنت فيه. : ف الشيخ محمد بن مانع أن يفتي في المسألة قال: فأفتى بما هو في صالحنا.



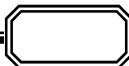
وأخيراً فإن الشيخ عبدالله يُعد الشخصية العلمية البارزة لا مناس له، ولوجود بعض العلماء كالشيخ أحمد بن حجر بن طامي، والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز وغيرهم كثير إلا أنهم يتقاصرون عن الشيخ عبدالله بن محمود لطول باعه العلمي، وصلته بالأفراد حكام البلد وأعيانها، وما امتاز به الشيخ عبدالله من كرم وسخاء وحدة وذكاء وفطنة يعرفه القاضي والداني، يشفع لذلك مركزه بصفته رئيساً للمحاكم الشرعية تصدر منه الأحكام فيجري تنفيذها، وكان الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد في وقته هو الآخر يقضي في بعض ما يرفع له ويعطي فيها أحكاماً مدنية بمشورة من حوله من قضاة القانون.



إسماعيل بن عتيق في قطر

(٧) سلطنة عُمان

ما كادت مشكلة البريمي تنتهي ويتم تسوية الخلاف مع المملكة العربية
عودية وأبو ظبي وعمان حتى تنبعت الجهات الدعوية في المملكة بضرورة اللقاء
وتبادل المعارف، ولاسيما وعمان يدين أهلها بالمعتقد الأباضي.
كلفت مع زميل لي من العلماء للشخص هناك عام ١٣٩٣ هـ لاختيار الأرضية
وإعطاء فكرة عن مشروع إقامة عمل إسلامي دعوي يتجه إلى تخفيف الفوارق بين
الدعوة السلفية وما عليه الجماعة الأباضية.
كان طريقنا على دبي حيث بقينا خمسة أيام ننتظر الفيزة أو تأشيرة الدخول إلى
عمان رغم تدخل السفارة في دبي ورغبة السفير السعودي في عمان الملحة في
تواجدنا قبل بداية شهر رمضان حتى يكون لنا دور إرشادي بمناسبة الشهر الكريم
رمضان، وبعد حصولنا على التأشيرة ((سمة الدخول)) لعمان كان وصولنا إلى
مطرح حيث المطار، ومطرح مجاور لمسقط العاصمة.



كان السفير آنذاك الشيخ صالح الصقير، وقد بذل كثيراً من التسهيلات لمقابلة بعض من الشخصيات؛ وبالأخص وزير الداخلية والخارجية ومفتي البلاد ورئيس علمائها الشيخ الخليبي، لقد أتج الصدر وفتح باب الأمل حينما تبليغنا أن الحاكم السلطان قابوس قد أمر بإقامة الجمعة في المساجد بخلاف ما عليه مذهب الخوارج أو الأباضية، وهو أنه لا تقام صلاة الجمعة إلا في خمسة مساجد، كما هو في عهد عمر رضي الله عنه، وهي الحرمان والقدس ونزوى والشام، وهي في زعمهم الأمصار الرئيسية وغيرها لا تجوز إقامة صلاة الجمعة فيها.

كذبة سياسية:

ونحن نتجه إلى مكتب وزير التعليم ثم مكتب وزير الخارجية، تأخرنا عن مواعده عشر دقائق ونحن بمعية السفير صالح الصقير، فقال الصقير مداعباً: سنكذبها كذبة سياسية عن تأخرنا في الموعد؛ وفور السلام على الوزير والتعريف قال الصقير: نأسف عن التأخر حيث كنا في الميناء لنرى السيارات القادمة هدية من وزارة التعليم في المملكة إلى أشقائهم في عمان وعددها مائتي سيارة، أراد السفير بهذه الكذبة شيتين: الإخبار بوصول السيارات والاعتذار عن التأخير، وهو كاذب فيما قال، فلم نر السيارات ولا المرفأ ولكنه تحقق من وصولها فأخبر بها من غير

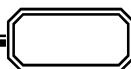
ومن الجدير بالذكر أن سفيرنا المحترم العبقري في سياسته وأسلوبه قد باشر أعماله السياسية في كثير من الدول: الهند والعراق، وأخيراً قابلته في تركيا وحدثته عن الكذبة السياسية في عمان؛ وأخوه الدبلوماسي الفاضل الشيخ علي الصقير الذي زاملناه في نيجيريا عام ١٩٨٧م، والآخر له سمة العقل والسمت والدين والسخاء، كثر الله أمثالهما.

بقينا مع الوزير العماني فترة دقائق لنخبره بالمهمة فرحب وقال: الإعلام في خدمتكم، وأين الإعلام آنذاك ليس سوى خيمة منصوبة في البرية وفيها الأجهزة الصغيرة البدائية هي نواة الإعلام العماني، ومع هذا فقد تهيأت لنا أسباب التحدث في هذه الإذاعة المحدودة الصغيرة، وكانت المواضيع حول بعض الشبه التي تزخر بها حضارة الغرب وموقف الإسلام منها كالاختلاط وتعدد الزوجات والمواريث إلى غير

مع الشيخ الخليبي وعلماء مسقط:

اتسمت زيارتنا للعلماء بالمجاملة وعدم الخوض في الخلاف، حيث أن الخلاف السياسي قد انتهى ولا نريد فتح الخلاف الديني، فتحوا لنا صدورهم بالتحدث عن حضارة الإسلام وتقدم المسلمين وعن ما يجب أن يكون في وحدة الأمة الإسلامية، وأهدوا لنا كتباً تاريخية عن عمان وتاريخه المجيد كتراث، وأشار فيما كانت عليه عمان وهم في ما يظهر أنهم يلحنون في عدم خضوع عمان وما جاوره للنفوذ السعودي في أي عصر من العصور، وهو خلاف الواقع، ومع هذا فإننا نحجم عن الخوض في تاريخ ما مضى

الشيخ خليل شخص قيادي له نفوذه وهو بارع في الكلام والجدل وله شخصية نافذة، وظل كذلك حتى كان ولا زال هو العلم الشامخ بين علماء عمان مما جعله يستنكر النشاط السعودي خشية التأثير على مذهبه، وقد قامت الحكومة السعودية بدورها الدعوي حيث تم افتتاح مكتب للدعوة والإرشاد في عمان كما فعلت ذلك في



دول الخليج عامة، ولكن الخليلي يسير الحركة ويرقب التأثير، فما كادت الأعمال تسير وفق مخططها حتى قامت قائمة علماء الأباضة بطلب إغلاق هذه المكاتب وتوقيف النشاط السعودي، أقول: من مهمتنا فحص الأرضية والاستعداد، وعلى أثر ذلك قام النشاط المذكور إلا أنه انتهى من غير تأثير يذكر، والآن ما تزال ترفع راية المذهب العقدي للخوارج والأباضية، وأصدروا مجلة العقيدة للبرهنة على مذهبهم القديم، والله المستعان.

(٨) الإمارات العربية المتحدة

أبوظبي دبي الشارقة عجمان أم القيوين رأس الخيمة الفجيرة

في عام ١٣٨٨ هـ، كانت الجولة الأولى لدولة الإمارات العربية المتحدة، وكان وصولنا إلى دبي وهي المركز التجاري والميناء العالمي لدول الخليج، كان طابع الرحلة دعويًا محضًا مع جملة من المشايخ العلماء، فقد انفتحت الإمارات العربية إلى العالم الخارجي بعد تولي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عام ١٩٦٦ م، وقيام الاتحاد عام ١٩٦٨ م، مما يجعل الخوف يساور الحكومة السعودية من تسرب مبادئ الحادية أو ديانات ومبادئ خرافية، ولذا فقد بادرت بمد الجسر بينها وبين دول الخليج بإرسال - - وترشيح عدد من القضاة السعوديين أصحاب الكفاءة والخبرة

والمرونة ليقفوا بجانب القضاة المدنيين، كما تم افتتاح معهد علمي تبعه دراسات عليا تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في إمارة رأس الخيمة؛ والإمارات تدعو حاكمها بالشيخ مصطلح متعارف عليه.

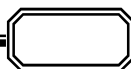
لشيخ محمد القاسمي، وحاكم رأس الخيمة الشيخ صقر بن محمد القاسمي؛ وحاكم عجمان الشيخ راشد ابن حميد النعيمي؛ وحاكم أم القيوين الشيخ أحمد بن راشد المعلا؛ وحاكم الفجيرة الشيخ محمد بن حميد الشرقي؛ وحاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم؛ وحاكم أبوظبي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

كان مقر البعثة في دبي ومنها منطلق العمل في المساجد وزيارة الأعيان ومنهم الحكام والمدارس والأندية؛ وجدنا تقبلاً وارتياحاً وبخاصة من الإمارات الأربع (الشارقة، عجمان، أم القيوين، رأس الخيمة)، ومما يذكر أن هناك وشائج قرى بين القواسم والدعوة السلفية والحركة المرضية في الجزيرة العربية منذ القدم مما جعل الاستمرارية في الإكرام والتلقي باق إلى يومنا هذا.

في منزل الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي للمرة الأولى نلتقي بالشيخ في مجلسه العام الذي يضم نخبة من التجار المستوردين للبضائع عن طريق البحر؛ والشيخ راشد هو رئيس أولئك التجار، كان مجلسه لا يمثل مجلس حكم أو إدارة أو مظاهر سياسية، وإنما كان مبسطاً للغاية.

جاءه رجل يشتكي إليه من أن شركة الكهرباء قد غرست عموداً كبيراً بجوار جداره الذي قد يشكل عليه خطراً؛ فقال الشيخ راشد: إن لم يرضك هذا فسنغرس العمود في رأسك، بهذه الإجابة انصرف صاحب الدعوى من غير تكرار لمطالبته، وكان الشيخ راشد يقول ذلك الحكم وهو يهز يده تهديداً وتخويفاً لمن يعارض

جاء دورنا في الدعوة، عرضنا عليه أن في بر دبي قبراً يعبد ويعظم، فقال لهجته الدارجة: هذا مال العيم، والمعنى أن هذا القبر يخص الأعاجم، ويعني به مسلمي الهند والباكستان، فقلنا له: ولكنه في إمارتك، ومثل هذا لا يقر لأن فيه صرف عبادة لغير الله - - ، فاعتذر جدياً عن تغيير أو إزاحة هذا القبر، ولكن لا يمانع أن نذهب إليهم لنصحهم وإرشادهم.



انصرفنا آيسين من تجاوب الشيخ راشد في أمر كهذا؛ ولكن شاءت القدرة الربانية أن يقوم بعض أهل الغيرة بنسف ذلك القبر ليلاً وما عليه من المباني وأماكن الاعتكاف، ولم يحدث شيء من الاحتجاجات ولكنهم عادوا فبنوه مرة أخرى. وسمعت فيما بعد أنه كلما بُني هُدم والحمد لله، وأظنه في الوقت الحاضر مهذوم وبأمر من الحكومة أن لا يعاد بناؤه، وهذا يعطي صورة مصغرة عن موقف الشيخ الحاكم من مثل هذه المظاهر الشركية البدعية.

في جزيرة أبو ظبي أو شبه الجزيرة حيث يجزر البحر؛ استعلمت الأخبار عن وضع هذه الجزيرة قبل السفر إليها، ومما علمته أنه لا توجد فنادق ينزل فيها الضيف القادم غير ضيافة الحكومة، أو بالأصح ضيافة الشيخ زايد، فأبرقت برقية لسموه من دبي بواسطة مكتبه الذي أشبه بالسفارة أو القنصلية لاستخبر أحوال المسافرين إلى أبو ظبي، وفي اليوم الثاني ورد الموافقة على سفري إلى أبو ظبي في الضيافة. غادرت دبي بالطائرة، وعند سلم الطائرة في أبو ظبي استقبلني مسئول التشريرات، ومن المطار إلى الضيافة حيث أسكنوني فيما يشبه الفندق من الدرجة الأولى فكان مريحاً للغاية، توقعت أن يسألونني عن برنامج عملي ومهمة رحلتي؛ فلم من يستجوب سوى تقديم خدمات الطعام للوجبات الثلاث والمبيت والضيافة.

وبعد يومين فوجئت وأنا أتقدم إلى غرفتي وجود ضجيج في الغرفة وازدحام فيها بالشباب المراهق ممن قدموا لدورة رياضية () يزيد على خمسة عشر شاباً، النائب منهم والمستيقظ والمتفكه، وكان دخولي عليهم في غرابة المظهر أدى إلى تعجبهم، وهل يمكن لهذا الشيخ أن يظل مع الشباب، والحالة هذه تناولت حقيبتي وخرجت فوراً لأنام في بهو الضيافة حتى يأتي المسئول وأخبره بما حصل، وفعلاً جاء المشرف وعرضت عليه الحال، فقال: الأمر ما ترى هؤلاء شبابنا ولا بد لهم من سكن، خرجت مسرعاً في اليوم الثالث لأبحث عن مقر حتى أؤدي رسالتي على الوجه المطلوب، مع ما شاهدته من المتابعة لحركاتي وجولاتي في أبو ظبي مما يدل على تخوفهم من الوافدين أياً كانوا، حيث كانت الإمارات في دور تكوين الاتحاد، وقد شاهدت جنسيات مختلفة في الضيافة.

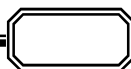
في بيت الخزرجي:

الشيخ الخزرجي عالم فاضل مرموق في أبو ظبي وإن كان على خلاف مع العلماء أو أكثرهم في منطقة الخليج، صلينا صلاة الظهر في مسجده وسرت معه حتى دخل بيته وأخبرته بأنني أرغب السكن، ولم أجد سكناً، فعرض عليّ المكث في المجلس أو الديوانية بصحبة الشيخ ساطع الجميلي العراقي الوافد من دولة أوروبية، وهو الآخر كان في الضيافة، ثم فر منها إلى بيت الخزرجي عفا الله عنه.

رضيت بالإقامة لسببين: عدم وجود سكن مريح في أبو ظبي، والسبب الآخر التعرف على العلماء والاستفادة منهم أو التأثير عليهم؛ حيث أن المهمة تتطلب لقائي بطلبة العلم والمشايخ العلماء، بقيت في ضيافة الشيخ ومع الشيخ الجميلي وطال الحديث معه، وكان فرحاً مرحاً بالضيوف والوافدين إليه، وإن كانوا قلة حيث كان لا يشغل منصب ذا أهمية مما جعله يستقطب الوافدين وبخاصة طلاب العلم.

بقيت خمسة أيام حتى دبر الشيخ الجميلي مؤامرة لأغادر بيت الشيخ ويتفرد هو بالحديث معه، قال لي الشيخ الجميلي وقد دخلنا المسجد لصلاة العصر: إن الشيخ يعتذر عن الإمام والصلاة في هذا الوقت وعليك أن تتقدم لتصلي بالناس، وفعلاً أمرت المؤذن وتقدمت للصلاة بالناس، فجاء الشيخ الخزرجي ونحن نصلي، وبعد الصلاة انفعّل الشيخ وغضب، كيف تقام الصلاة من غير

وكان الجميلي قد أدرك مقصوده في استثارة الشيخ وغضبه عليّ، مما جعلني أعتذر إليه فيما بعد؛ ولك
إدارة البيت والسفر إلى مدينة العين، المدينة الثاني



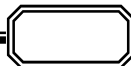
في مدينة العين ومقر الشيخ زايد

لم تكن العين بأسعد من أختها في تسهيل إقامة الوافد إليها، بل هي أشد وأنكى حيث يحصن الحاكم في قصره ولا سبيل إلى الوصول إليه، سرحت طرفي وترددت في أمري كيف أصنع ولهيب الحرارة يكاد يشوي الوجوه والمدينة لم تكن في مستوى المدن بل هي بيوت معدودة وأكثرها من العريش وصنادق الباعة من الهنود. وقع نظري على بيت مجاور لقصر الشيخ زايد قد فُتح على المصراع الكبير، فوقع في نفسي أن هذا بيت يمكن أن يستضيفه صاحبه، فتقدمت من غير استئذان حيث لم أرَ أحداً ودخلت المجلس وانتظرت طويلاً فلم يأت أحد، فتناولت واحداً المتكآت ووضعت رأسي ونمت تلك الظهيرة، وقبيل أذان الظهر أيقظني شاب لعله من خدم ذلك البيت، فقلت له: متى يأتي عمك؟ فأخبرني أنه لا يأتي إلا في العصر، وطلبت منه الغداء أو القهوة أو ما شاء حيث أنني أحتاج إلى سد رمقي ذلك اليوم أطعم شيئاً، فقال: بعد صلاة الظهر يمكن تقديم الغداء، أذن لصلاة الظهر فصليت مكاني خشية أن يقفل

بعد الصلاة وقى بما وعد وجاء بغداء ليس بالكثير، ولكنني وجدت فيه لذة وطعماً، حاولت أن أستنطق ذلك المستخدم عن صاحب هذا البيت أهو من الأمراء أو من الأعيان والتجار، ولكنه كان يلوذ بالفرار وعدم الإجابة، وقبيل صلاة العصر جاء ورأني وهو يعبس وجهه ويسأل: من أنت؟ أخبرته: بيتي بجوار بيت الشيخ زايد، يريد أنه مراقب؛ ولكن والذي يحب السعوديين وسأذهب بك إليه لتكون ضيفاً عليه.

أمرني بالركوب معه إلى والده، والذي يقيم في العين، إلا أنه في مزرعة، وبيته من القش والخوص أشبه بالعريش، عرفته فيما بعد أنه من شيوخ البريمي وإن كان من القبائل البلوشية، لكنه ذو ثقل ومكانة عند بن جلوي وعند زايد. رحب الشيخ بالسعودي الذي قدم لغرض ديني؛ وبقي يحدثني عن مواقفه مع سعود بن جلوي حيث قال: والله إنني أحبه وأخافه، ونحن في هذه البلاد أمننا واستقرارنا بفضل الله ثم بهيبة ابن جلوي، ثم أخبرني بقصته حيث دعاه ابن جلوي هو ومن يحب إلى الأحساء، قال: فما توانيت أو ترددت في استجابة أمره ولكن الخوف يساورني من ابن جلوي؛ فلعله يرى حبسي أو بقائي بجواره حيث كانت مشكلة البريمي قائمة؛ وبعد وصولي إليه أخبرني بأنه سيحج على السيارات ويرغب أن أصحابه إلى الحج، فوافقت على ذلك من غير ارتياح ولا رغبة، ولكن هيبة الأمير تمنعني من الاعتذار، تم الحج معه والحمد لله، وبعد الانصراف من مكة قال لي: سنذهب إلى حائل وأنت ستكون معي لوحداك، فقال: قلت في نفسي: حبسي في حائل والله المستعان، ولكن تبين بعد ذلك أن ابن جلوي يريد الزواج من بنت ابن مساعد ويرغب صحبتي معه.

أمضيت قرابة أسبوع في بيت هذا الشيخ، فإن لم تخني الذاكرة اسمه محمود البلوشي شيخ البلوشين في البريمي؛ جزاه الله خيراً وغفر له.



في مجلس حاكم الشارقة

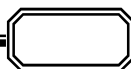
الشيخ خالد بن محمد القاسمي

لم نر في المظهر والمخبر ممن يمثل الإمارة حق التمثيل مثل الشيخ خالد، فقد كانت مجالسه تكتظ بالزوار والوافدين والمحبين له غير المستجدين الراغبين في عونه، ولكن خلقه الكريم وتواضعه الجَم وتعرفه على أحوال الزائر وانفتاحه في الحديث يجعل له في الناس منزلة تفوق أرباب العطاء والهبات الرسمية.

لقد تكررت الزيارة في مجلس الشيخ خالد حتى كادت أن تكون رتيبة، يجري البحث في مسائل اجتماعية ودينية وتاريخية، حدثنا هو قال: جاء إلى مجلسي الشيخ محمد نور من علماء دبي ومن المجاورين في مكة المكرمة، وأنكر عليّ حلق لحيتي فأجبت فوراً: أيهما أشد في رأي الشيخ حلق اللحية أم إقرار الوثنية والعبودية لغير الله - ، يشير بذلك إلى أن ابن مكتوم ملتحي لكنه يقر عبادة القبور في بلده،

قال: فما كررها بعد ذلك ولا غرابة، فإن جلسه ومشيره العالم والعلامة ذو الوجهة الشيخ: عبدالله بن محمود آل محمود لا يكاد يفارق مجلسه، وعن طريقه تسير إليه قاطرة العلماء وبخاصة من المملكة، والشيخ عبدالله له مواقف صلبة وقوية مع بقية أمراء الخليج، وكان ناصحاً واضح الهدف فيما يدعو إليه - رحمه الله وغفر له.

ومن الجدير بالذكر أن جميع الإمارات أقرت كل دعم وتأييد من المملكة تجا، الدعوة والتعليم والقضاء، عدد إمارتين هما دبي وأبو ظبي وحجتهم أنهم على مذهب الإمام مالك، ولهذا يستقربون فقهاء المذهب المالكي من الأحساء وموريتانيا

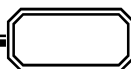


عجمان وأم القيوين

أشبهه بقريتين نائيتين عن كل معنى في الحياة، غير أن عجمان يحكمها الشيخ راشد بن حميد النعيمي وهو يمثل في مظهره الزي السعودي يلبس عقال (المقصب المذهب) ويظهر العمل بما عليه الأئمة الحنابلة في الفقه وما عليه السلف في المعتقد، وأخبرونا بأنه يقيم الحدود الشرعية على مرتكبي من يستحق الحد، كالخمر والزنا، بل وقد أفادوا أنه بنفسه يباشر إزالة المنكر حينما يراه؛ ويدعو الناس لأداء الصلوات في المساجد، وهذه ميزة انفرد بها الشيخ راشد، وهو كث اللحية وسيم، حاد النظر - رحمة الله عليه.

أما أم القيوين ويدعونها بأم القوتين وحاكمها الشيخ أحمد المعلا فلم نر فيها ما يذكر غير أننا استُضفنا في يوم حار من الشيخ عبدالرحمن بن عتيق الذي يُعد شيخ الإمارة، فقد أتى إليها منذ زمن وهو من أهل الخرج في نجد، لقد أجاد بإكرامنا ومعنا أحد الأخوة بتقديم غذائه المتواضع؛ مع اعتذاره من عدم وجود إدام من اللحم أو السمك في مثل بلدنا هذا في هذا الوقت.

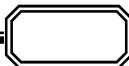
قبلنا عذره وطلبنا مساعدته في تسهيل تجميع الناس لنا في المساجد حتى يتم قيام الدرس، ولكن اعتذر لأن أكثرية سكان البلد في البحر، وإذا جاءوا ليلاً فإنهم على قدر من الجهد والتعب لا يتمكنون من الجلوس والارتياح، كان هذا في عام هـ، والآن وقد تبدلت الأحوال أصبحت الإماراتين أم القيوين وعجمان من المدن الكبيرة، والذي تمت فيها الخدمات الضرورية كالكهرباء والماء والتعليم، وذلك بفضل الله؛ ثم باتحاد الإمارات وقيام دولتهم.



رأس الخيمة

في نهاية الإمارات الخليجية تقع إمارة رأس الخيمة والتي يحكمها الشيخ صقر
تعرفنا على الأمير صقر ودعانا لمأدبة عشاء ليلاً في بيته المتواضع، والشيخ
صقر فيما حكي عنه أنه من أهل الطاعة والتوجه إلى الله - عز وجل في أداء
الصلوات وقيام الليل.

استجبنا دعوته وحاولنا التأثير عليه بتخفيف بعض المظاهر المخالفة في
الإمارة، ولكنه يظهر من حاله أن النصائح قد تكررت على مسمعه من أمثالنا، غير
إنه يخطو خطوات إلى تقدم البلد والنظرة السائدة. ن حرية الفرد وعدم مضايقة
الأجانب هي من أسباب تقدم بلاد رأس الخيمة وتوابعها، لا زالوا يعيشون عيشة
البساطة وعدم التكلف، أدركنا ذلك من بيت الشيخ ومأدبته التي قدمها لنا كضيوف،
ه، كل الإمارات في هذه الحال وقد تبدلت الأحوال،
قامت المملكة العربية السعودية بافتتاح المعهد العلمي ليكون نواة لجامعة إسلامية
تحتضن أبناء الخليج لتخريج الدعاة والمدرسين والقضاة، غير أن مما يؤسف له عدم
التقبل الكلي من أبناء الخليج خاصة بع وة البترولية وميول الأكثرية إلى الترف
بل وإلى المدارس الأجنبية، ولكن بحمد الله استمر المعهد وتم فتح دراسات عليا فيه،
وظهرت آثار هذا المنار العلمي والحمد لله؛ فجزى الله حكومة المملكة وعلمها ها خير
الجزاء في استنقاذ هذه الإمارات من التشيع أو التعبد الخرافي كالصوفية وأرباب

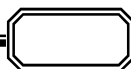


أبوظبي

/ / / هـ أي خمسة عشر يوماً مدة الإقامة عشرة أيام
 وخمسة أيام في العين ومن خلال هذه المدة مارست جميع النشاطات
 الممكنة واستخلصت فيها بعض معلومات أسجل منها ما له مساس طبيعة العمل هـ :
 - أبو ظبي إحدى بلاد ساحل عمان؛ تقع في الساحل الغربي منه بين دبي في

- تنقسم إلى قسمين رئيسيين أبو ظبي والعين؛ وأبو ظبي تقع في عرض البحر
 على رأس جزيرة مساحتها ميلاً وفي حالة الجزر تكون شبه جزيرة والعين على
 كيلومتر من أبو ظبي من حدود مسقط وإمارة عمان تلي البريمي جنوباً.
 ٣- السكان من ثلاث سنوات وبعد عزل الحاكم الأول شخبوط بن سلطان من
 الحكم والذي دام حكمه أكثر من أربعين سنة؛ تولى زايد بن سلطان وفتحت البلاد
 ذراعها للأجانب؛ وفق مقتضيات الحال وضرورة إنجاز المشاريع التي أمر بها
 الحاكم الجديد؛ لذا نجد الخليط من الناس عرباً وعجماً؛ ويكثر الفلسطينيون ويقدر
 عددهم بسبعة آلاف؛ ثم السودانيون فالمصريون فعرب الجزيرة من اليمن وعدن
 وبعض من قبائل مسقط وعمان؛ ومن غير العرب يكثر البلوش واللبنانيون
 والإيرانيون الشيعة والهنود والباكستانيون ولكنهم على مستوى منحنى العلم
 والثقافة؛ أما الأوروبيون فيندر أن تراهم لقلتهم وترفعهم على مستوى الأعمال
 البسيطة التي تستدعي مخالطة الناس أو بروزهم على صعيد العامة؛ وقل أن تجد من
 غير ما أشرت إليه من أجناس البشر؛ أما تعداد السكان الأصليين فبمسؤال الشيوخ
 الكبار من أهل البلد أجابوا بأنه منذ عشر سنوات لا يتجاوز سكان أبو ظبي ثلاث مائة
 رجل؛ والعين في حدود المائتين رجل؛ وقد يعنون بهذا القاطنين من الحاضرة غير
 البوادي ومن ليس له ملك في البلد؛ أو أن ذلك جاء في سياق كلام للتعجب من تطور
 البلاد وتقدمها وقد لا يخلو من المبالغة في قلة التعداد للسكان؛ أما من يعمل في
 الإحصاء فيقولون: أهل أبو ظبي والعين الأصليين لا يتجاوزون خمسة آلاف أو سبعة
 آلاف فقط، وقد نشر في كتاب عمان والإمارات المتصالحة أن تعداد سكان أبو ظبي
 ثمانية عشر ألف؛ كما نشر في كتاب نهضة أبو ظبي أن تعداد السكان خمسون ألفاً
 حسب آخر إحصاء في شهر مارس ١٩٦٨م؛ والأمر لا يخلو من مبالغات ومناورات

٤- الإدارة والحكم لا يكاد يذكر في البلد غير اسم الحاكم؛ حتى لقد قيل: إنه كان
 يخطط الشوارع بنفسه ويرسم البيوت الشعبية برجله ويخططها بعصاه؛ وقد ولي
 بعض أقاربه إدارة بعض الأعمال فجعل ابنه خليفة حاكم منطقة العين؛ ونائب الحاكم
 في غيبته وولي عهد؛ كما رشح مبارك بن محمد آل نهيان لإدارة الشرطة والأمن
 العام؛ والشيخ أحمد بن حامد لإدارة العمل؛ والشيخ خليفة بن محمد الكهرباء؛ والشيخ
 محمد بن خالد للمالية؛ والشيخ سرور بن محمد للعدل؛ والمعارف والصحة والمياه
 للشيخ حمدان بن محمد؛ وفي خطة الأعمال الخمسية ٦٨ - ١٩٧٢ إحدى عشر
 مصلحة المعارف والصحة والزراعة والصناعة والمواصلات والبلديات والإسكان
 والعمل والسياحة والمباني العامة قروض؛ ويدير أكثر الأعمال الفلسطينيون تحت
 إشراف المشايخ الحكام أو أسرة الحاكم؛ ومن حيث الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه



ففي أبو ظبي الشيخ محمد بن أحمد بن حسن الخزرجي من طلاب العلم؛ فقد نصبوه قاضياً شرعياً يحكم ويصلح على المذهب المالكي وهو رجل فاضل لا بأس به من حيث المعرفة

وفي العين الشيخ مقرن؛ كبير السن ضعيف المعرفة عسى أن يكون في قدوم الشيخ أحمد المبارك إلى أبو ظبي ما يلفت أنظار الحكام إلى ضرورة تنفيذ حكم الشرع وإبطال الأحكام سواه؛ إلا أنهم أخيراً طلبوا من الأردن قضاة مدنيين؛ في العين واحد؛ وفي أبو ظبي واحد؛ وقد استنكر الرأي العام سير القضاة الخلقية وما يصدر منهم من أحكام مخالفة للشرع ويمجها العقل السليم؛ فقد حدثني أن امرأة زنت فحكم القاضي الشرعي بجلد البكر ورجم الثيب، ولم يرض الحاكم بهذا الحكم فأحالتها إلى القاضي القانوني؛ فحكم أن يسلم الرجل مبلغاً من المال مقابل الاستمتاع بها، وأن يتزوجها، وله أن يطلقها فيما بعد إذا لم تصلح الأحوال؛ فكان حكماً غريباً يتحدث به الناس، فهم ما زالوا على الفطرة، إلا أن الشعب وخاصة الكبار منهم في السن لا يقدرّون على مجابهة الحاكم؛ لاستنكار هذه الأحكام والحاكم نفسه يستجهد أهل البلد ولا يراهم أهلاً للاعتداد بأرائهم واستنكار ما أنكروه؛ ولو كان ذلك من تعاليم الشرع وأحكام الدين.

٥- يبلغ عدد المساجد في أبو ظبي قرابة خمسة عشر مسجداً؛ وفي العين أقل من ذلك إلا أن القرى التابعة للعين عدد المساجد أكثر بقليل من أبو ظبي؛ وقد ظهرت أحياء جديدة ومساكن شعبية لم يخط فيها خطة مسجد فضلاً أن تقوم الحكومة ببنائها؛ ومن المؤسف جداً أن الشيخ خالد بن سلطان أخو الحاكم قام ببناء كنيسة للنصارى في أبو ظبي في الحي المسمى بالخدوية؛ وهذا يعطي صورة لا يستهان بها عن مدى الاستهانة. وجميع ما في أبو ظبي من المساجد يقوم ببنائها محسنون عدى المسجدين الرسميين في أبو ظبي وفي العين؛ وإذا كان هذا من شأن عمارة المساجد من باب أولى عدم رعايتها للأئمة والمؤذنين إلا ما كان من قبل المحسنين؛ كما أن من الملاحظ أن المصلين من غير العرب ونادراً أن ترى العربي يقصد المسجد للصلاة وقد يوجد ذلك في أطراف البلد.

٦- التعليم كان في ما سبق يدير المعارف إنجليزي؛ وأخيراً انتدبوا الدكتور الهاشمي عراقي من بغداد؛ وفي مقابلي له ظهر لي منه شخصية العالم؛ كما قيل عنه: إنه متدين؛ وقد اختاروه لإعداد المناهج الدراسية من الابتدائية منهج الأردن؛ وقد فتحوا منذ سنتين معهداً سموه المعهد العلمي يضم فصلين أولى وثانية ويقوم بالتعليم بعض أساتذة من سوريا والأردن ويرجى له مستقبلاً حسناً؛ هذا وتقوم الحكومة بابتعاث عدد من طلاب الخليج إلى أوربا لندن والقاهرة وبغداد للدراسة الجامعية والثانوية وبعضاً للابتدائية؛ وعلى العموم فالطابع في التعليم في أبو ظبي طابع مادي لا يقوم على روح التدين لندرة المدرس المسلم؛ هذا وقد فتحت حكومة أبو ظبي معهداً دينياً في عجمان وسارت الدراسة فيه سيراً حسناً.

٧- سياسة: تتجه أنظار أبناء الساحل وخاصة دبي والشارقة وعجمان وأم القيوين نحو إمارة أبو ظبي وحكومتها المهيمنة عليهم؛ فبفضل تدفق البترول جعلت الحاكم يبدي سخاء ويبذل من وسعه على الإمارات المذكورة؛ فقد بنى أحياء شعبية وعمل الطرقات؛ بل لقد وفر تكاليف الكهرباء، وبعث أربعمئة وسبعين طالباً لتلقي الدراسة في الخارج، وفتح المعهد في عجمان؛ وبهذه المساعدات السخية العلنية منها والسرية يلهج الناس بالثناء العاطر على حكومة أبو ظبي وعلى الشيخ زايد خاصة؛ كما أن الوافد لأبو ظبي يلقي كل إكرام وإجلال؛ والفنادق في أبو ظبي هي ضيافة

الحكومة؛ وبهذا أخذت شوطاً في الدعاية، وهي في طريقها إلى تثبيت شخصيتها والاعتراف بها كحكومة ترعى شؤون الخليج وتبث فيه روح الحياة وتؤمن له مستقبله؛ ويتحدث الناس في أن مطار أبو ظبي سيكون أكبر مطار في الشرق

وقد كان لفتح المعهد العلمي في رأس الخيمة ووجود مدرسين من السعودية أحدث ظاهرة من نوعها؛ ولها أبلغ الأثر في تقوية الروابط والصلة الروحية وتبادل المشاعر العامة لدى المواطنين أنفسهم وأسرة التعليم في المعهد.

٨- أوجه الإصلاح: يمكن حصر أوجه الإصلاح في الأمور التالية الممكنة: المدرسة والمسجد؛ فالمحكمة؛ وفض الخصومات بين الناس على هدي من الله ونور؛ والمدرسة: تنشئ التعليم الصحيح والاطمئنان على مستقبل الجيل العقائدي، والمسجد ينبوع الطاعة والإيمان بالغيب والحاجز المنيع لتسرب الشر لدى المصلين؛ وهذا جل ما يتطلبه المجتمع الإسلامي وينبغي عليه قواعد الأمن ودعامات الإيمان؛ والطريق إلى إصلاح هذه المعائل طريق شائك وعسر للغاية لا يكفي جهود الأفراد ولا تنفع فيه الشكليات والروتينيات الرسمية ولكن بتعاون الحكومات الإسلامية مع الهيئات الدينية ورجال الدعوة والإصلاح مع حسن المقاصد وسلامة النية ويمكن إصلاح ذلك

قترح ما يلي:

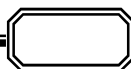
أ- بالنسبة للمحاكم إرسال وفد على مستوى رؤساء محاكم وعرض المساعدات التي يمكن للحكومة السعودية تقديمها كتعزيز لإقامة الحكم الإسلامي والتعاون في مجال الدين وذلك لكافة الإمارات.

- الإيعاز لرؤساء الجمعيات الإسلامية خارج المملكة بتعهد أمراء الخليج بالمناصحات ومناشدتهم إياهم تحكيم الشرع في بلادهم سواء كان ذلك بالمراسلات أو الاتصالات الشخصية؛ ويعطى لطلاب العلم فرصة لزيارة الخليج المتكررة بالعامه والخاصة وللقيام بالتوعية الدينية حول قضايا معينة.

- أما بالنسبة للمدارس فالعلة التي نراها في أبو ظبي هي ما نشكوها في مدارسنا في المملكة؛ وذلك جلب المدرسين الدهريين توظيف من يتخرج من الجامعات الإسلامية في كل عام وهم عدد لا بأس به؛ وإيجاد صلة بين رئاسة الجامعة وإدارة التعليم في أبو ظبي ليتم بذلك التعاقد مع الراغبين للتعليم والإعدادي

- أما بالنسبة للمساجد فهي لا تقل أهمية عن ما تقدم؛ ومن السهل جداً أن يكثر عدد المساجد وينافس الناس في رفع مناراتها وزخرفتها ولكن هذا شطر من عمارتها؛ وأما بالنسبة للشطر الثاني وهي عمارتها المعنوية وإقامة الصلاة على الوجه المطلوب فيها واختيار الرجل الصالح فهذا الأمر لا يقل أهمية من الشطر قبله بل هو الأساس لعمارة المساجد؛ ولا أدري هل من الممكن أن تتفق الجهات الدينية في المملكة وفي أبو ظبي على اختيار أئمة مساجد خاصة الجمع من طلاب العلم في السعودية؛ ويقوم بجانب ذلك بالتدريس والوعظ ومواصلة النشاطات الدينية؛ إذا تم هذا فسيكون للمساجد أثرها النافع في التوجيه وهذا يحتاج إلى تفاوض من الجانبين وليس بذلك أهمية في النواحي السياسية الداخلية.

هذا وفي الختام وبعد إعداد هذا التقرير الذي مضى على إعداده أربعون عام يكن سوى مذكرات شخصية وأراء فردية؛ لا يبنى عليها إجراءات رسمية ولا دراسة؛ ولم يكن في الذاكرة أن هذا التقرير يبقى في أرشيف مكتبتي الخاصة لأعيد



النظر فيه وإدراجه ضمن مذكراتي في جولاتي عبر القارات؛ ولتعلم القارئ الفوارق الزمنية بين إعداد هذا التقرير وبين الواقع الحالي؛ وما بين الزمانين من تباين شاسع واختلاف كبير؛ فلتاريخ سجلت وللمعلومات كتبت؛ والله يتولى عباده الصالحين.

وممن عرفت في الإمارات

الشيخ محمد الخزرجي

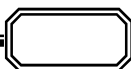
هـ كنت ضمن البعثة الدعوية التي تنطلق في صيف كل عام إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، وكان من نصيبي أن كلفت بالوعظ والإرشاد في مساجد أبو ظبي، ما كدت أصل الجزيرة أو شبه جزيرة أبوظبي حتى ضاقت بي مسالك السكن والاستقرار، إذ لا يوجد بها سوى بيت الضيافة التابع للحكومة، وأماكن لا يسترجع بها المستريح، فتقدمت إلى الشيخ الخزرجي وعرضت عليه ما أنا في من حال، حيث إنني أرغب البقاء في أبوظبي للغرض المشار إليه ولا سكن ولا استقرار، وقد استلهمت قول المتنبي:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فلمبني الشيخ طلبي وأذن لي واستضافني لمدة خمسة أيام أنست بحديثه وكنت جليسه صباح كل يوم وعصره، كان طلق المحيا كريم السجايا، شيق الحديث، أنيس الجليس، لا يمل من الحديث عن ماضيه، فهو يجيد البيان بأدب وروية، فلا يجرح شعوراً، ورغم ما نحن عليه من خلاف معه في التمدب والسلوك والاعتقاد فإنني لم أسمع منه كلمة جارحة أو خدش كرامة بالنيل من توجهاتنا السلفية ومذهبه مالكي، وتتلذذ على علماء شيعة في الأحساء.

أعود فأقول: إن الشيخ الخزرجي نختلف معه تماماً في توجهاته السلوكية والعقدية، فهو إلى التصوف أميل وإلى الأشاعرة المؤولة للأسماء والصفات أقرب إلا أنه لم يقل حديثاً يؤدي به جليسه ولا يمل بحديثه في أمور عامة، مكثت معه خمسة عشر يوماً ومعني الأخ الشيخ ساطع الجميلي، عراقي يسكن الأرجنتين بأمريكا الجنوبية، وودعت الشيخ الخزرجي بعد تلك المدة ولا زالت ذكرياته بالذاكرة، وكما قلت هو مالكي في الفقه، صوفي في السلوك، أشعري في العقيدة، ولكنه ذو ذوق رفيع ورجل سياسة وقيادة وقد لا تحكم عليه ولا له في ضبط توجهاته وتحديد غايته إلا بعد تجربة وروية، وأخيراً وزر في الدولة وكان وزير الشؤون الإسلامية وانضوى تحت وزارته المساجد والأوقاف وشؤون الدعوة فأنحسر لنا من معتقده وأعلنها صريحة ضد النهج السلفي، وظهرت تهجماته على الدعوة المباركة في الجزيرة العربية دعوة الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب، وانفصمت تلك الأخوة بينه وبين علماء المملكة، وقد احتضن جمعاً من المتعلمين من مصر والشام واليمن والسودان فلهم أفضلية التعيين في المساجد والتعليم وها هو الخزرجي وقد تجاوز عمره السبعين ولا نعلم خاتمة أجله ومنتهى عمله، سجلته لبروز شخصيته ومعرفتي له ضمن من أكتب عنهم ومن لقيتهم من العلماء والأعيان، ولا أعرف له مؤلفاً أو مشاركة في البحث إلا أنه رجل سياسة ورائد رئاسة.

والله من وراء القصد وهو القادر على كل شيء، ونستغفر الله ونتوب إليه.



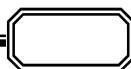
(٩) اليمن الشمالي وعاصمته صنعاء

ما كادت الثورة اليمنية تزول زوبعتها وتهدأ عواصفها بعد مضي سبع سنوات، كانت سنيذ من الحرب والسلب والنهب بين المواطنين أنفسهم وبمناصرة عدو في صورة صديق، الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر عليه من الله ما يستحق، إذ حشد ما يزيد على خمسين ألف من الجنود المصريين في اليمن لمناصرة الثورة العربية الاشتراكية، في زعمه المكذوب.

: ما كادت تهدأ تلك العواصف حتى انفتحت للشعب اليمني أبواب المملكة العربية السعودية بالدعم والمساعدة والمنشآت التي ترى الدولة السعودية أن ذلك واجب أخوي، وكان من ضمن الدعم والتأييد إيجاد النشاط الدعوي، ومد يد التوجيه والإرشاد للشعب اليمني الغافل المستغفل لهدايته وإرشاده.

صدر التكليف من جهة رسمية للشخص إلى اليمن لتقييم العمل الإسلامي وطرق وأساليب الدعوة التي يمكن أن تستخدم لمناصرة اليمنيين القائمين على الدعوة والتعليم الديني، فكان ذلك بحمد الله وبمعيّتي من يُعينني على أداء مهمني على الوجه المطلوب، فقد كان الأمن في ذلك الوقت لا يزال في اضطراب وغير مستتب، ولا زالت بعض النفوس المريضة تسيء الظن في الدولة السعودية من عدم ارتياحها للثورة أو معاكستها خط التقدم الثوري، ومع هذا فقد استعنت بالله وتوجهت مع رفيق هـ، ومن مطار الرياض إلى مطار صنعاء بتأشيرة عادية وبدون توجيه رسمي أو اتصالات بجهات رسمية في اليمن، وإنما علاقتنا مع المواطنين وبالذات العاملين في حقل الد وهم ممن سأذكرهم أو بعضهم.

في مدينة خولان وبعد جولة سريعة في عاصمة اليمن صنعاء، وهي العاصمة الزيدية المتأصل فيها المذهب الزيدي الإمامي والشيعي، لم نلمس في صنعاء أي



قبول أو توجه أو رغبة في الحديث عن العلم والتعليم، غير أن المستمع في المساجد بالذات المساجد في أطراف العاصمة كثيرون، ففي أثناء إقامتي في صنعاء كنت ألقى بعد كل مغرب من كل يوم محاضرة أو كلمة بعد الصلاة ولم نلمس أي مخالف أو معارض، فعمل الجميع يأخذون كلامي مأخذ الواعظ المتجول من غير قصد في هدف أو اتجاه سياسي، ثم من صنعاء إلى مدينة خولان المعهد الإسلامي ورئيسه الشيخ صلاح، وذلك المعهد الذي كان ولا زال منارة للتعليم الإسلامي رغم ما كيد له ولصاحبه الشيخ صلاح، فقد شاهدنا أثر القذائف النارية على بناية المعهد تهديماً لطلابه وتخويفاً لصاحبه من قبيل الشيوعيين والقوميين العرب ممن تتلمذوا على المدرسة الناصرية، غير أن الشيخ صلاح سار بمعهد سير الصابرين والمحتسبين، وكانت زيارتنا له زيارة دعم وتأييد ومناصرة، فقد تم التوثيق والتعارف بين صاحب هذا المعهد ورجال العلم والدعوة في المملكة العربية السعودية، فكان بحمد الله معهداً إسلامياً لا نقول: سلفياً، ولكنه لا يعارض السلفية، وهو أشبه بالمعهد التحرري من المذاهب الفقهية التقليدية على حد سواء، ولعل هذا بتأثير من العلامة الداعي إلى الله الشيخ عبد المجيد الزنداني وفقه الله لكل خير.

أمضينا في خولان ثلاثة أيام نرقب حركات الطلاب، وبرامج تعليمهم والنشاطات التي يمارسها الطلاب، وكان من بين الأساتذة أخوة من السودان لهم توجه دعوي واضح وهو النهج الإخواني، ولعل هذا كان من أسباب غيظ الشيوعيين والقوميين على هذا المعهد، وكان الطلاب ينشدون الأناشيد الإخوانية: هو الحق يحشد أجناده

ويعتد للموقف الفاصل

إلى آخر القصيدة، وهي من وهنافات الإخوان المسلمين في مصر، وهم

جری التشاور بين أبناء الشيخ صلاح وأساتذة المعهد حول رسم خطة منهجية في العمل، لا تشعر بأي انتماء واضح لغير الكتاب والسنة مع احترام وتعزيز مقام مام الشوكاني، وأشرنا عليهم بنقيرير عقيدة تطهير الاعتقاد وهي عقيدة ضد الإلحاد، ومثل ذلك تواريخ أعلام اليمن الذين لهم يد في الإصلاح، فإن النزعة الوطنية لا تزال في أذهان الكثير من اليمنيين ولا يمكن إنكار فضل من سلف أو غمط حقوق من جاهد، ولا سيما والتاريخ قد سجل لهم أمجادهم، هذا بجانب الفقه الإمامي مع ملاحظة أخذ بالدليل في المسائل الخلافية، وكان للمباحثة في هذا المجال الأثر الطيب مما جعلهم يعدون بتنفيذ تلك المشورة والتوصيات.

من صنعاء إلى مأرب ببلاد قحطان وبالطائرة، توجهنا إلى مأرب البلدة السلفية والتي حماها الله من التأثير الزيدي في صنعاء، أو الإسماعيلي في نجران.

مأرب هو كما في القرآن الكريم حيث كان بلد الحضارة وال عمران: ﴿لَقَدْ كَانَ

لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ

غَفُورٌ ﴿١٥﴾ [لقد بقينا في مأرب خمسة أيام في ضيافة شيوخ مأرب

وظلاب العلم فيها، ولعل من أسباب عدم التأثير عليهم في المذهب الشيعي أو الإسماعيلي انتماءهم القبلي إلى قحطان وارتباطهم بقبائلهم في المملكة، وقد شاهدنا ما أثلج الصدر من قيام المدارس القرآنية والدعوة والإرشاد في مدينة مأرب، وقد لا نسميها مدينة، فهي قرى ومزارع على ضفتي الوادي، وقد شاهدنا سد مأرب المذكور في القرآن، وقد تهدم وبقيت آثاره، غير أن الشيخ زايد بن نهيان رئيس دولة الإمارات العربية - رحمه الله - أبدى عرضاً لحكومة اليمن بتبني إعمارهِ وتشبيده للاستفادة منه، وكان هناك حوار بين مشايخ مأرب وحكومة صنعاء، وقد رفض المشايخ أي اتفاق بين حكومة صنعاء والشيخ زايد فيما يخص السد إلا بدخول المشايخ في الرأي واشترآكهم في المشورة حول تنفيذ مشروع إعادة السد، ثم بعد مضي سنوات تم الاتفاق وتم المشروع على نفقة الشيخ زايد بن نهيان - رحمه الله .

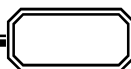
في مدينة إب مدينة الشوافع أو أرباب المذهب الشافعي، وبها نلتقي في المعهد العلمي والتي أسماها صاحبها بالمدرسة العربية، وهو الشيخ أحمد راشد الأبى، والشيخ أحمد راشد من الزملاء في الدراسة بالرياض، وتخرج في كلية اللغة العربية هـ.

وكان ضمن المدرسين في معهد صامطة بمنطقة جيزان، ثم بدا له أن يقيم عملاً إسلامياً بواسطة التعليم وافتتاح معهد بواسطة يمكن إيصال المعلومات واختبار من يتلقى هذا العلم، فكان له ما أراد.

حدثني الشيخ أحمد راشد وقال: زار الرئيس إبراهيم الحمدي مدينة إب، وقد شاهد المعهد ونشاطه فقال: كيف تأسس هذا المعهد وبأموال من؟ قال فأجبتة: التسول والشحاذة، فقد كنت أكلف كل طالب يأتي بكيس أسمنت أو بأبلكة واحدة في : فعجب الرئيس الحمدي بهذا، وأمر بدعم المعهد دعماً

سخياً دفعنا للعمل أكثر.

وقد شاهدنا من التنظيم والترتيب سير الدراسة في هذا المعهد ما يثير مما جعل أبناء اليمن يسارعون في إقامة تنظيم للمعاهد الإسلامية في جميع مدن اليمن يبدأ العمل فيها بصفة شعبية ثم تطالب الدولة بدعمها وتشجيعها حيث تأسست المعاهد العلمية في كثير من مدن اليمن على غرار المعهدين المذكورين، معهد خولان ومعهد إب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الرحلة إلى اليمن مرة أخرى

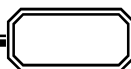
من الرياض بداية الرحلة إلى صنعاء، أمضينا ثماني ساعات، دخلنا صنعاء يوم السبت في اليوم السادس عشر من الشهر السابع هـ كان ميعادنا من مطار الرياض إلى صنعاء، لإنهاء إجراءات السفر على الخطوط اليمنية، وبعدها تم الوصول إلى صنعاء وكان في استقبالنا الأخ الفاضل العقيد علي حمود الجايفي، إذ كنا على موعد معه حين زيارته الرياض ومقابلته بمعية بعض الإخوة اليمنيين منهم الأخ محمد النهاري، وكان الأخ علي بلباسه الرسمي، لذا انتهت إجراءات المطار بسهولة واحترام، وإلى بيت الأخ المذكور كان استقرارنا بتناول العشاء وكان بصحبته أبناؤه الأربعة، أمضينا ساعة ونصف الساعة في بيت الأخ علي قدم من جوده وكرم الضيافة بالأكلات اليمنية ومنها ما يسمى: (بنت (المكونة من البر والعسل والسمن، وأضاف المأكولات مما نعرفه وما لا نعرفه شكر الله له، ثم استأذنا الأخ علي كي يختار سكناً في وسط صنعاء؛ فلبى الطلب بعد عرضه المؤكد أن نكون ضيوفاً له في البيت، وكنا ثلاثة: إسماعيل بن عتيق، وعبدالإله الشايح، وعبدالرحمن الشنري وقبل أن ننصرف من بيت الأخ علي وصل الشيخ شاکر الهتاوي أحد أعضاء البرلمان، وخريج المعاهد العلمية في وبصحة الأخوين توجهنا إلى اختيار السكن في صنعاء، وكان نزولنا في

يوم الأحد رجب كانت جولة في صنعاء بمعية الأخ الفاضل الشيخ: فرأينا صنعاء مزدحمة بالحركة المتتابة بالسيارات والمشاة و عرفنا بهذا أنها من كبريات عواصم الدول العربية، يقطنها ما يزيد على مليوني نسمة والازدحام فيها ظاهرة من ظواهر مدن عواصم العالم، بدأنا بزيارة المكتبات التجارية، ومنها مكتبة الجيل من المكتبات التجارية القديمة التي تعنى بالقديم والحديث، ولها فروع عدة في داخل صنعاء وخارجها، ومن أبرز ما في هذه المكتبة: الكتب التراثية التاريخية لليمن.

وفي جولة دامت نصف ساعة انتهينا منها إلى مكتبة الحضارة وهي: مكتبة حديثة متعاونة مع كثير من دور النشر في داخل اليمن وخارجها اقتنينا منها بعض الكتب التاريخية ومنها (النهضة الأدبية في اليمن) جزأين، ثم توجهنا إلى صنعاء القديمة والتي يذكر أن تأسيسها مضى عليه ما يزيد على ثلاثة آلاف عام، ومما أشار إليه صديقنا الفاضل جهة في صنعاء قال: هذه تسمى: البيت الخرب وهو المكان الذي أراد أبرهة أن يجعله عوضاً عن الكعبة المشرفة أو يضاهي به بناية الكعبة المشرفة ولا يزال خرباً تلقى فيه القاذورات والنفايات وكان يدعى قديماً (القليس)

صنعاء القديمة وهي من الطين المرمم، ورغم أن بيوت صنعاء من الحجارة والجبس إلى أن السور كما شاهدناه من الطين، دخلنا مسجد الجامع الكبير جامع صنعاء الذي تقدر مساحته بما يزيد على ألفي متر، وكان الأثر كقد بنوا في ساحته بنية جعلوا فيها المخطوطات ومنها: الخط العثماني للمصحف الشريف كما ذكر الأ

أذن لصلاة الظهر وزادوا في الأذان ((حي علي خير العمل)) كما فعلوا في الإقامة ولم نر حرجاً في الاقتداء بالإمام الزيدي، إذ أن الخلاف بين ما نحن عليه



وأهل اليمن خلاف لا يؤدي إلى عدم الإلتزام بهذا لاسيما أن الكثيرين من اليمنيين يعتبرون الإمامين الشوكاني والصنعاني ممن يقتدى بهم. مكثنا في المسجد مع التجوال فيه، وشاهدنا اكتظاظه بالمصلين من القراء والحفاظ، ومما شاهدناه: تميز السادة وآل البيت بالعمامة البيضاء والثوب الأبيض مع سعة في الأكمام وهم يلقون الاحترام والتقدير من الجماهير، وإن كان البعض منهم لم يرق إلى درجة العلم. عدنا إلى منزلنا وقد كان في استقبالنا: الأخ الكريم الشيخ شاعر عضو البرلمان، فأبى إلا أن يضيفنا بطعام الغداء، وقد أوسع في الإنفاق ونوع المأكولات مما نعرفه، وما لا نعرفه؛ فجزاه الله خيراً، وقد أنسنا بحديثه الممتع، وبيانه المبدع لما كانت عليه المعاهد العلمية، وما لها من تأثير عقدي وسلوكي في الناشئة اليمنية إذ كان هو أحد خريجها، وقد أزلت هذه المعاهد الجفوة بين ما عليه أهل السنة والجماعة وبعض مقلدي الزيدية وبالأخص الجهات التي فيها المعاهد الدينية، وهذا شيء لمسناه في كثير من المساجد التي صلينا بها غير المسجد المركزي (الجامع الكبير)، والشيخ شاعر شاب يافع متحدث يتسم بصفات الشجاعة والبلاغة والبيان مع حسن الخلق والأدب الرفيع، وقد كنا معه في شجار أخوي؛ حيث أراد أن يقوم باستضافتنا في الفندق طيلة المدة التي نقيمها في صنعاء نحن الثلاثة، وتجادبنا معه الأحاديث الأخوية وأفهمناه أننا بخير، ولا نسمح ولا نرضى أن يقوم بتسييد فواتير الفندق من سكن وإعاشة، وتوصلنا بالأخ علي حمود أن يكون في صفنا وإعانتنا على الأخ الشيخ شاعر، ولاشك أن هذه الصفة عربية وأرومة أصلية في العرب المسلمين غير أن الزمن تغير بتغير المدن، وتقارب البلاد، وتسكين السكن التجاري للزائر والسائح بما يسمى: بالفنادق أو الشقق المفروشة مما يبرر عدم قبول ضيافتنا للأخ الكريم الشيخ

وبعد استراحة قصيرة بين الغداء والعصر توجهنا لزيارة العالم الشيخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ الذي طار ذكره وعلا صيته بين الأدباء والمؤرخين ما كتبه مؤلفه المشهور: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) ستة أجزاء، ومع أن الشيخ إسماعيل تجاوز التسعين عاماً فإنه بجانب الهاتف يجيب من سألته ويستقبل من طلب زيارته وقد وعدنا حينما هاتفناه أن تكون الزيارة بعد العصر أي بعد ساعة إلا ربع من الاتصال به، ومن هذا التحديد عرفنا دقة الرجل وانضباطه.

وجرى السلام عليه بتقبيل رأسه، وكنا أربعة، وقد سألت الأخ المرافق الشيخ علي بأن عادة اليمنيين تقبيل أيدي العلماء والسادة، فهل نفعل ذلك فأشار علينا بأن مثلكم يستحسن منه أن يقبل رأس العالم كما تفعلون مع علمائكم، وبالنسبة إلى عادة اليمنيين في تقبيل أيدي العلماء فإن الأولى تقبيل رؤوسهم، وفعلاً تتابعنا على تقبيل رأس الشيخ ومصافحته، وكل منا يُعرف باسمه، وهو ينتثب منه الاسم ويعيده بلفظه، جلسنا حوله، وظل يسأل عن أحوال البلاد والعلماء، وذكر لنا الشيخ عبدالله التركي وأثنى عليه خيراً، كما ذكره الأخ عبدالإله الشايح بزيارته لمركز الملك فيصل قبل أعوام وإلقائه محاضرة في المركز عن المخطوطات في اليمن، فذكر وأثنى على علماء المملكة وقادتها⁽¹⁾ ومما ذكر أن ابن الشيخ إسماعيل من الساسة اليمنيين وكان سفيراً في المملكة، وقد قابلنا من أبنائه المسمى محمداً، وابنه محمد الذي كان في استقبالنا وتوديعنا.

أما الشيخ إسماعيل فقد بلغ من العمر عتياً حيث لم يستطع القيام للزائر وكان جالساً ولكنه متمتع بسمعه وبصره ومع خفة في وزنه، أمضيت مع الشيخ الأكوغ

(2) توفي - رحمه الله - بعد زيارتنا له بشهر تقريباً.

عشرين دقيقة تقريباً، وكان منزله مما يشار إليه من البيوت الأثرية الفخمة مما يدل على تراثه ومكانته الاجتماعية، وقد طلبنا من حفيده محمد أن يتحفنا بترجمة لجدّه مما هو مكتوب ومطبوع؛ حيث سمعنا بذلك، ولكنه اعتذر بعد البحث؛ بسبب عدم وجود نسخة، ووعده بتحضيرها عند زيارته مرة أخرى إن شاء الله، ودعنا الشيخ قبل المغرب، واتجهنا إلى زيارة شيخ آخر من أعلام صنعاء وعلماؤها المشهورين، وهو الشيخ العلامة القاضي: محمد بن إسماعيل العمراني يذكر أنه كان قاضياً في عصر الإمام يحيى حميد الدين، كما ذكر بعض طلابه أن ولادته عام ١٣٤٠ هـ وقد اعتاد أن يجلس بعد كل عصر وقبل المغرب؛ لاستقبال الاستفتاءات والمراجعين والمسلمين فكنا ممن أتوا للسلام فقد اقتربنا من الشيخ فرفع رأسه لينظر من يسلم عليه إذ جاء جالساً على متكأ، وقد وضع له فراش خاص مرتفع عن الأرض بعشرات السنتمرات، سلمنا على الشيخ واحد بعد الآخر مصافحة، وكنا أربعة وكان يرد السلام بتحفاً وإكرام، ويسأل عن أحوالنا وعن أحوال البلاد، ومما سأل عنه: هل بقي من آل الشيخ أحد في الدرعية، فأجبناه بأن آل الشيخ كلهم سكنوا الرياض قال أحد المجالسين له: أنت إمام أهل السنة في اليمن؛ فلم ترضه هذه الكلمة وقال عن نفسه: إنه لا شيء في العلم، قال: إن زيارتك هذه؛ لما سمعتم عني ممن يدعونني بالعلامة

كان شيخاً مرحاً خفيف الظل يستقبل الاستفتاءات التحريرية ويجيب عليها بقلمه تحت الاستفتاء، ويرد كثيراً من الاستفتاءات إلى المحاكم الشرعية وإلى الدولة إذا كان فيها طرف منازع، وقال عن نفسه: إنه يفتي في الصلاة والطهارة، والحج، وما إلى ذلك من المسائل الكبرى والتي لها مساس بأطراف متنازعين فالأمر يعود إلى المحاكم، يذكر أن الشيخ عندما يكتب فتوى أنها تعرض على الجهات الرسمية لتصديقها وإن لم يكن مفتياً رسمياً إلا أنه محل ثقة من الدولة والشعب.

سأله الأستاذ عبدالإله زميلنا في الرحلة أن يعطينا الإجازة العامة، ذلك بعد أن ذكر الشيخ سلسلة سنده إلى الإمام الشوكاني، وسماه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وبينه وبين الشوكاني ثلاث رواة، وطلب ورقة بيضاء وكتب بقلمه أسماءنا، وكان يدعونا بالعلامة، فاعترضت عليه، فقال: الجزاء بالمثل؛ أنتم سميتوني كذلك، وكتب لنا الإجازة، وذكر الأخ عبدالإله أن يجيز أولاده معه فأجاب لذلك بسرعة خطه صفحة كاملة وقال: إن رغبتم تصويرها وإعادتها إلي لأصدق على كل صورة فعلت، وحيان وقت صلاة المغرب، وأذن المؤذن من غير أن يقول: ((حي على خير العمل)) لا في الأذان ولا في الإقامة، مع أن المسجد من كبريات مساجد صنعاء وفي الحي القديم وهي مركز المذهب الزيدي.

يذكر أن الشيخ العمراني ممن يأخذ بالسنة وينهى عن البدعة في العقيدة والشريعة؛ بهذا التف حولّه عدد كبير من الطلاب الراغبين في العلم وقد رأينا بعض جنسيات من شرق آسيا لعلمهم من ماليزيا أو إندونيسيا في درس الشيخ، وكان الدرس بعد صلاة المغرب في كتاب ((سنن ابن ماجه)) مع أحكام الشيخ الألباني، وكان الباب في كتاب الأطعمة، وقد كان مع كل طالب كتاب، وكان عدد الطلاب يتجاوز الخمسمائة طالب، وكان الشيخ يلقي درسه بالاقوط (المكرفون) ومما يلفت النظر: كثرة المصورين بالآلات التصوير الفيديو، والجوال، والتسجيل الصوتي لدرس الشيخ، ومع أن صوته جهوري إلا أن لهجته اليمينية ومداعبته للطلبة والنكت كانت في دراسة عادة يتخذها، استمعنا إلى درس الشيخ وكان يمرُّ الدرس إمراراً من غير إطالة شرح ولا استنباط أحكام ولا تعرض للغلة إلا أنه يقرأ أحكام الشيخ الألباني، بقينا في درس

الشيخ إلى قبيل العشاء حيث أنهى الشيخ درسه وأخذ يستقبل الأسئلة، استأذنا الشيخ وودعناه ودعونا له بالتوفيق، وقد ذكر أحد الأخوة أنني سافرت كثيراً للعديد من الدول وكتبت بعضها، فقال لي بروح المرح والمداعبة: لعلك جئت إلى هنا؛ لتضيف لمذكراتك هذا اللقاء.

عدنا إلى منزلنا وكنا على موعد مع الشيخ عبدالرحمن العيزري أحد مدرسي جامعة الأندلس في صنعاء ويحضر الدكتوراه في علم الحديث في جامعة صنعاء وله مصنفات منها: ((اختيارات الشوكاني)) و((مصنفات الشوكاني وموارده)) وغيرها سألناه عن جامعة الأندلس فقال: هي أهلية مسجلة رسمياً بتمويل من بعض تجار وأخبار المملكة العربية السعودية. بقي معنا ما يقرب من ساعة نتبادل معه أطراف الحديث وكان شاباً مرحاً يظهر منه الجد والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، وكل دراسته في صنعاء، ذكر لنا أن من علماء اليمن قديماً وحديثاً من يكره الشوكاني؛ وذلك لما عُرف عنه من التجديد والإصلاح وعدم التقيد بالمذهب الهدوي الزيدي، وذكر أن كثيراً من علماء اليمن قد كتبوا عن الشوكاني ولكنهم لم يعطوه حقه ولم ينصفوه حق الإنصاف؛ فلهذا جعلت من صالح أعماله خدمة مؤلفات الإمام الشوكاني رحمه الله.

الشيخ المذكور له تواصل مع بعض طلبة العلم في المملكة منهم الأخ الفاضل الشيخ صالح العصيمي يواصله بالمراسلة وتبادل كتب، وأخيراً ودّعنا الأخ الكريم ولم يكن لنا به تواصل بعد ذلك؛ إذ عرفنا من حاله أنه ليس كثير الاختلاط بالناس، وأنه متجه لتحصيل العلم، ولاشك أن هذا التوجه سليم وحميد لمن أراد العلم وتحصيله؛ فإن الانشغال بالأمور الاجتماعية والخلافات السياسية تُذهب على طالب العلم وقته مع عدم القدرة على التغيير والتبديل، شكرنا الأخ وشكرنا له الزيارة، وبتنا على خير في فندقنا الشلال الذي وجدناه فندقاً مريحاً فيه جميع الخدمات الضرورية للمسافرين مع الأدب والاحترام ولم نر في هذا الفندق ما نكرهه أو سمعنا ما لا نريده؛ حيث كان اختياره لنا من الأخوة الفضلاء الشيخ علي حمود والشيخ شاعر الهتاوي.

يوم الاثنين ١٨ رجب أعدنا برنامجاً لزيارة جهات عدة في صنعاء ومنها المكتبات الأثرية في صنعاء، وفي الساعة العاشرة من هذا اليوم وصلنا إلى المكتبة في زحام السكك والأزقة الضيقة داخل صنعاء، ومما يلفت الأنظار في داخل صنعاء كثرة المتاجر المنزلية القديمة، والألبسة المتنوعة من تقاليد اليمن فهي لا تزال تحتفظ بتقاليدها وأعرافها؛ فلذا ظل العرض المتميز لما هو قديم في هذه الأسواق الشعبية القديمة.

وصلنا إلى المكتبة، وكان في بوابتها جندي تطفنا له بالقول في فتح الباب ودخلنا المكتبة، وفي بهوها أربعة رجال طلبنا منهم فتح باب المخطوطات؛ فاعتذروا بأن الأمين المدعو عبدالملك المقحفي غير موجود حالياً وأنه سيعود بعد قليل، وفعلاً عاد عبدالملك وعرفناه بأنفسنا، فنفضل مشكوراً بفتح المكتبة، وزودنا بنشرة عن هذه المكتبة الأثرية وهي تابعة لوزارة الثقافة، أخذنا جولة سريعة على مركز ترميم المخطوطات، ومما رأيناه: الورق الذي صنع من جلد الغزال، وقد أوضح لنا عبدالملك أن جلد الغزال نوعان؛ الكبير منها يستخدم في تجليد الكتب، أما الصغير فإنه تصنع منه الأوراق مثل التي في أيدينا مع إضافة مواد أخرى لصقله، ومن عجيب ما ذكره أن هذا الورق الجلدي له جهتان: جهة فيها الصوف وهذا أقل وضوحاً في الكتابة، والجهة الثانية أوضح، وقد عرض علينا نموذجاً من هذه

الأوراق الجلدية، وقسم الترميم يذكر أنه في بداية التطوير وكأنه يُعرض بضرورة دعمه ومساعدته؛ لتطوير هذا القسم، صعدنا إلى أعلى وفتح باب الخزانة للمخطوطات، فكان أول كتب ناولنا إياه ما خط عام ٣٦٠هـ، كما أطلعنا على ((مقامات الحريري)) بخط جيد ونقوش وصور ورموز تعرب عن محتوى المقامة، وأطلعنا على كتاب ((تسهيل المنافع في الطب والحكمة)) وهو كتاب ضخيم غير أن المطبوع أقل بكثير، شرح لنا عبدالمك و وضع المكتبة، وأنها تابعة لوزارة الثقافة، ومحتواها أحد عشر ألف عنوان، ولا حرج عندهم في أخذ الكتاب وتفتيشه والإطلاع على عنوانه وإعادته مكانه، كما أطلعنا على الفهرسة ثلاثة أجزاء بطريقة بدائية لم يستخدموا الحاسب، هذا وممن قابلناه في المكتبة: الشاب عبدالله الطير وقد ذكر لنا أن في صنعاء مكتبة أخرى تابعة للأوقاف وهي محتويات مكتبة الإمامين يحيى وابنه أحمد أئمة اليمن سابقاً قبل الثورة، وطلب منا زيارة المكتبة غير أنه لم تسنح لنا الفرصة للزيارة.

عدنا نتجول في أزقة صنعاء ومعنا الأخ الفاضل الشيخ علي بن حمود حتى صلينا صلاة الظهر في مسجد الجامع الكبير كما فعلنا بالأمس، ومع أننا بالزبي السعودي فلم نرَ أحداً لا من العلماء ولا من العامة من يبادلنا التحية ابتداءً أو يحادثنا وكان الأمر عندهم عادة ولا يستنكر الزائر لهذا الجامع الكبير، كما أننا لم نتعرف على أحد، في الجامع ولم نحاول الاحتكاك بأحد إلا أننا رأينا كثيراً من المأمومين عند أداء السنة والفريضة يرفعون أيديهم عند التكبير وعند الرفع من الركوع ويقبضون أيديهم على صدورهم مما هو خلاف المذهب الزيدي.

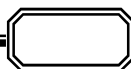
عدنا إلى منزلنا بعد صلاة الظهر وتناولنا طعام الـ

عاد إلينا الأخ الكريم الشيخ علي، وكان في مخيلته ضرورة زيارة الحجر خارج صنعاء وهي أودية وجبال يزورها السائح، إلا أننا انشغلنا حتى لم نصل إليها إلا بعد صلاة المغرب، وقد تناولنا على قمة هذا الجبل شيئاً من الفواكه؛ العنب والرمان، ومكثنا قرابة نصف ساعة في هذا الهواء الطلق العليل، وهو أشبه ما يكون بالسودة الجبلية في أهباء، عدنا بحمد الله وبتنا على خير.

مشهدان لا ينسيان:

يوم الثلاثاء
هـ مشهدان لا ينسيان على بعد كيلو
توجهنا من صنعاء إلى شهد ومنظر تاريخي ذلك هو دار الحجر قصر العجائب في وادي ظهر، ذلك القصر الذي أشيد على صخرة مستديرة ثمانية أدوار أربعة جانبية وأربعة أدوار فوق الصخرة، وبداخله بئر في قمة الجبل وقد أعد للسياح وبتذاكر رمزية، دخلنا هذا القصر ومرشدنا الأخ الفاضل صديقنا الشيخ علي الجايفي، ومما ي أول وهلة أن سعر التذكرة للمواطن اليمني (ريال) يماني بينما (ريال).

دخلنا القصر دوراً بعد آخر ورأينا غرفاً منه مؤثثة تأثيثاً قديماً قالوا: إن هذا مجلس الإمام يحيى حيث كان يصطاف في كل سنة ثلاثة أشهر وليس في الأثاث ما يلفت النظر حيث كانت متكآت عادية والأرضية مفروشة بما يسمى عندنا بالساحة التي لا ترقى إلى درجة الزوالي، وفي مكان منعزل ذكروا أن هذا المكان هو سفرة الإمام أو مكان الطعام، كما رأينا مكان إعداد الأكل من الأفران مجاوراً لمكان تقديم الطعام (السفرة) وعلى العموم فإن هذا القصر مظهر تاريخي وحضاري لليمن



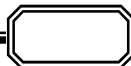
واليمينيين وهو من أهم أماكن السياحة في صنعاء، أمضينا قرابة الساعة والنصف وعدنا إلى أمكنتنا لنتجه إلى المشهد الثاني وهو بين جبال همدان، قرية ضروان التي ذكرت في القرآن في قوله تعالى: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين) [١٧] الآيات من سورة القلم، وقد رأينا آثار ذلك العذاب وهو سواد الحجارة وظلمة الأرض وذكر لنا الأخ المرافق أنه تأتي إليه الرياح مختصة بهذه المنطقة يستوحش منها من حولها، كما أنه لا حرث فيها ولا زرع ولا رعي ولا يرتادها أحد إلا للعبرة والعظة.

ومما شاهدناه في عودتنا قرية معمر وقرية ذهبان، وهذان الاسمان للقريتين يشبهان ما هو في خميس مشيط وظهران الجنوب في المملكة العربية السعودية، عدنا إلى منزلنا وبعد صلاة العصر كان قد أعد لنا جدول عملي من قبل الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع محافظة ريمة، ومن هذا البرنامج زيارة الدورة لتعلم القرآن الكريم للنساء والرجال، وبعد استئذان الأخوات الحافظات جرى إلقاء كلمة من غير ستار مع أنهن محتجبات قرابة (٧٠ طالبة) تم إلقاء كلمة أمامهن في حدود عشرين دقيقة، ومن العجب في الأمر أن هؤلاء النسوة جنن من محافظة ريمة متفرغات للدراسة والحفظ من تاريخ ٧ / ١٦ إلى تاريخ ٨ / ٣ مكفولات بالإعاشة والسكن والتعليم مجاناً فعاتبنا المسئولين عتاباً أخوياً كيف تقدمونهن ولماذا لم تقيموا الدورات حول بيوتهن؟ فأجابوا بأن الأمر يتطلب ذلك، أولاً للتفرغ الكامل ولإيجاد مدرسات أكفاء علماً بأن المدة قصيرة ولا يخل بواجب البيت أو الزوج.

توجهنا من قسم النساء إلى قسم التلاميذ وكان في استقبالنا المسئول عن هذه الدورة وبمعينتنا رئيس فرع الجمعية الشيخ شاکر حسان الهتاري وقد زدنا بنشرات استطلاعية عن مشاريعهم وأنشطتهم في محافظة ريمة وفروعها مع ذكر المزمكين لهذه الجمعية ومنهم الشيخ عبدالمجيد الزندانى، وصلنا إلى مكان الطلبة حيث اجتمع ما يقرب من (١٠٠ طالب) وجرى الحديث معهم وحثهم على حفظ كتاب الله والتفرغ لطلب العلم، كما نشكر الجمعية التي أسست هذا العمل الخيري لحماية أبناء المسلمين ورعايتهم وتحفيظهم كتاب الله - عز وجل -، وقد رأينا شباباً متهيئاً للدراسة لاسيما أن ظروفهم المالية تحتم عليهم ملازمة الدرس وعدم الانشغال لاسيما وأنهم في الإجازة الدراسية الصيفية، شكرنا الاخوة القائمين على هذا العمل الخيري المبارك، وتوجهنا إلى جامعة الإيمان، وفور وصولنا أدن لصلاة المغرب ودخلنا

جامعة الإيمان :

التي أسسها ورعاها فضيلة الشيخ الدكتور رئيس الجامعة عبدالمجيد عزيز الزندانى ونائبه محمد بن علي الأنسى، تأسست هذه الجامعة سنة ١٤١٤ هـ وهي عضو في اتحاد الجامعات العربية، تهدف إلى تخريج العلماء العاملين، وتعتمد الوسطية والاعتدال، وبها أربع كليات: كلية الإيمان، وكلية الشريعة، وكلية الدعوة والإعلام، وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الدراسة في الجامعة عشر سنوات، لا تكلف الجامعة الطالب دفع رسوم دراسية، ويقوم أهل الخير والإحسان بتمويل الجامعة، وقد زكاها عدد من العلماء والأعيان منهم رئيس مجلس النواب الأسبق الشيخ عبدالله الأحمر، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وسماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وغيرهم كثير، ومما لفت أنظارنا في المسجد تنوع الجنسيات من دول آسيا والبلقان وأفريقيا وأوروبا، ومن المؤسف أن هذا المسجد



الذي يقدر طوله بحوالي ٢٠٠ متر وعرض ١٠٠ متر قد صنع من الشينكو الذي لا يقي من حر الشمس ولا من شدة البرد، ولكنهم في طريقهم إلى إعداد مشروع كبير لبناء مسجد في الجامعة قد أسست قواعده، وهم منتظرون أهل الخير لإكماله إن شاء الله، لم نلتق بأحد من مسؤولي الجامعة، لأن زيارتنا كانت في الليل.

ثم توجهنا فوراً إلى دار الفرقان، وهي جمعية خيرية تعنى بتحفيظ القرآن وتعليمه بعد الإعدادي وقد شاهدنا ما سررتنا من حسن المنشآت المعمارية والفصول الدراسية ومقر سكن الطلاب وهم كذلك من أجناس مختلفة، وقد خرجت هذه الجامعة عدداً من الطلبة، يرأس هذه الجمعية الشيخ سعد أحمد حنتوس، والأمين العام صالح أحمد حنتوس هذا والله ولي التوفيق.

يوم الأربعاء ٢٠ / ٧ / ١٤٢٩ هـ أزمعنا السفر للواء إب والذي يبعد عن صنعاء قرابة مائتين كيلومتراً، دفعنا عشرة آلاف ريال للتاكسي بمعدل مائتين ريال سعودي، كان القائد الشاب اليمني صاحب التاكسي له لياقة ولباقة في الحديث، أمضينا معه أربع ساعات في حديث ونقاش وهو يعرفنا بالمدن والقرى، خريج الثانوية المهنية قسم ميكانيكا سيارات، وصلنا مدينة ذمار فقال: ((تشتهو صبوح)) بمعنى: الإفطار، ونزلنا وتناولنا الإفطار الساعة الثامنة، وكانت بداية الرحلة الساعة السادسة صباحاً، وفي الساعة العاشرة هاتفنا الأخ الدكتور علي حاج ونحن على أبواب إب؛ فوصف لصاحب التاكسي الشارع والمنزل، التقينا بالشيخ الدكتور علي حاج أحد اليمنيين المغتربين في المملكة منذ طفولته درس من السنة الثالثة الابتدائية حتى نال شهادة معهد القضاء العالي في الدكتوراه هناؤه الله بمواهبه وقدراته الفكرية والعلمية لقد أفاض علينا من كرمه ومن حسن خلقه ما حبيننا إلى بلده إب بكسر الهمزة وسكون الباء وهي أحد الألوية العشرين من المدن اليمنية وتدعى بالمحافظة واللواء في مصطلحنا المقاطعة التي يتبعها عدد من المحافظات، أخرجنا الشيخ علي بكرمه؛ حيث ألزمتنا بالإقامة في منزله وقد هيا لنا أربعة أسرة على باب مستقل مما يلي مسجده، ومن الجهة الأخرى مجلسه، وكنا ثلاثة ينتابنا بثلاث وجبات؛ الإفطار والغداء والعشاء، ياله من كرم في عصر الفندقية، جدول الزيارة بأن يكون يومان للسياحة وبقية الأيام للدعوة والمشاركة في الأنشطة ومع وجود الوزارة الاجتماعية والآثار اليمنية إلا أننا لم يكن لدينا من الوقت ما يوجب التقصي لمعرفة الآثار ولكن يمكن أن نعرف بعضاً من ذلك بواسطة الأخ الكريم الدكتور علي حاج مما يخص مدينة إب.

الخميس ٢١ / ٧ وصلنا إلى قمم الجبال الخضراء والتي تزهو على مصائف أوربا في الخضرة والجمال وقد يكون للمزارع اليمني القدرة على سحق سفوح الجبال؛ لتكون مزارع مثمرة بالحنطة والشعير والذرة وأشجار القات، كان الهواء طلقاً والرياح معتدلة والسماء قانئة ومن أبداع ما رأيت:

شاهقة تصب في الأودية وذكروا أن ذلك طيلة العام وفي الجبال الشاهقة الأودية المنحدرة (وادي الجنات) الذي يمتد ويصب في البحر الأحمر وعلى جنبتي الوادي المزارع، ويمكن لسائق السيارة الجيب أن يتوسط الوادي بسيارته ليختار على ضفافه مجلساً ومنتجعاً ليقوم فيه يومه ونهاره من إب إلى عدين ومن عدن إلى النهر والوادي ساعتين من زحام في الطرق المختلطة بالأبقار والأغنام والمشاة، ناهيك بأصوات المنبهات المزعجة ولو من غير حاجة، ولكنها ظاهرة عند قائدي السيارات لكثرة ما يصطدمون به من المواشي وقل منهم البادية هذان العلمان الشلالات والوادي أشهر ما تمتاز به محافظة إب إلا أن الإعلام السياحي لم يصل إليه على وجه الدعاية والكسب وأكثر ما نشاهده هم مواطنون جاءوا من ساحل عدن والحديديّة، ولذا فإنه لا يوجد حول هذين العلمين مقاهي أو استراحات أو أماكن

مخصصة للزائر والسائح، عدنا إلى مدينة إب بعد أن خضت ما في بطوننا المرتفعات والمنخفضات مما جعل البعض يغمض عينه حين السرعة في ملتويات

يوم الجمعة ٢٢ / ٧ كنا على موعد لزيارة العالم الفاضل عبده عبدالله الحميدي خريج الجامعة الإسلامية في المدينة وأحد أعلام البلد، وكان متزينا بعمامة ويلبس البالطو الطويل الشتوي، تحدثنا مع الشيخ عن وضع المسلمين من النواحي السياسية والاجتماعية، وكان ملماً بالأحوال، وهو خطيب مسجد الرحمن من أكبر مساجد إب، كما أدبنا صلاة الجمعة في مسجد يؤمه أحد العلماء المبرزين: الشيخ عبدالله عبداللطيف كان خطيباً مفوهاً يخطب بحماس، ويلهب مكامن وأحاسيس الشباب في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، مع الإشارة إلى بعض الاحتفالات المبتدعة في شهر رجب كالإسراء والمعراج إذ أن الإعلام اليمني يفسح المجال لكل متحدث عن سنته أو بدعته فكان بعض المثقفين، لا أقول المتعلمين، ولكنهم من المتدينين يركزون على جانب الذكريات التاريخية في أجهزة الإعلام الرسمية ولعل المداراة لليمن الجنوبي كان من أسباب الانفتاح وعدم ربط الإعلام بتوجه معين إذ يكثر في الجنوب هذه الرغبة أو بالأصح التوجه البدعي بأنواعه ومثل الإعلام المرئي والصحافة التي تزيد على أربعين صحيفة كل صحيفة تعرب عن توجهات أصحابها فمتى يلتئم اليمن والديمقراطية شعار الكل وثاره؟! ومن أعجب ما رأيت في لباس الشعب تنوع لباس الأعضاء فمنهم بالبدلة الإفرنجية مع ربط العنق وقص الشعر، وآخر بإزاره المربوط وسطه مع الخنجر التي تتطيل إلى ذقنه، وثالث ورابع، فإذا المظهر الوطني غير موحد فكيف بغيره.

يوم السبت ٢٣ / ٧ مسجد الرحمن في حي الرحمن بمحافظة إب هنا يكون نشاط الشيخ محمد محمد المهدي، مكث في القصيم خمس سنوات للدراسة، ومن مشايخه الشيخ صالح البليهي صاحب كتاب ((السلسيل)) ويتبع لهذا المسجد أنشطة منها مدرسة الإمام البحاني، والإمام الشوكاني، والشيخ لديه جمعية الحكمة، وقد أهداني أحد تلامذة الشيخ كتيباً عن الزيدية في اليمن قرأت ما احتواه مع معلومات وربط بين الزيدية المعاصرة والقديمة، وقد أبدع فيما كتب ونقل بحسن أدب وصياغة علمية وتقريب بين فئات المسلمين، وإن كان قد أكد أن الزيدية من الفرق الشيعية إلا أنها لا تقول بحصر الأئمة في اثني عشر إماماً، وهي أقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الشيعية، وسمى كتابه: ((الزيدية في اليمن حوار مفتوح)) ومما ذكر الشيخ في كتابه: ((منهج الدولة))؛ فقد اتخذت الدولة منهجاً يدرس في المدارس بعيداً عن الصراعات المذهبية مستفاداً من كتب الإمام الشوكاني، وذكر أسباباً أخرى دعت إلى تضيق الفجوة بين أهل السنة والزيدية، قلت: إلا أن السياسة دمجت بين الشيعة الاثني عشرية والزيدية بدعوة الإمامة لأهل البيت تكون سرّاً إلا أن يظهر ويبرز سلطانها، الزيدية في اثني عشر، بل كل ما هو صالح من أهل البيت.

يوم الأحد ٢٤ / ٧ / ١٤٢٩ هـ توجهت من إب إلى مدينة السياني وبها قرية ذي أشرف، وبمعية الشيخ ياسر قائد الصلاحي كان وصولنا الساعة العاشرة صباحاً، وقد كان ياسر يتحدث عن ما نمر به من القرى ومسمياتها، وهي متواصلة تواصل المزارع بسفوح الجبال وقممها، ومما ذكر أن قرية عرف أهلها بقطع الطرق والاعتداء على من يمر بقريتهم، وقد تحولت هذه القرية إلى قرية آمنة وقرية أخرى تروج الخمر وتبذله للشباب كما شاهدنا أضرحة مقببة على مزارات باسم الأولياء والصالحين قد اندرست بقيت آثارها ومما رأيت في قرية ذي أشرف فيلا محاطة بالسور تابعة لمنظمة اليونسكو مهجورة أيضاً كان بها مبشرات نصرانيات بدعوى

تعليم الشباب الأعمال اليدوية ولكنها لم تفلح وبقي البناء، إذ القرية لم يستجيبوا لطلباتهم ولم يتعاونوا معهم، أما قرية ذي أشرف وهي تعد من أقدم القرى في مديرية السباني بدليل مسجدتها المعمور بالحجارة والرخام الأبيض، وقد أحدث الترك فيه تهدمات إذ كان أهل القرية يقذفونهم من فوق المنارة وذكر الأخ ياسر أن اليهود كانوا يسكنون في هذه القرية إلى ما قبل أربعين عاماً ثم هاجروا إلى إسرائيل، المقصود من زيارة القرية: الاطلاع على مؤسسة عمر بن عبدالعزيز الخيرية وهي مؤسسة حديثة تمتلك بيتاً لتمارس فيه جميع الأنشطة النسوية والشبابية طوال العام يتركز نشاطها على الحلقات القرآنية، وبعدها توجهنا إلى جبل أعلاه قصر لشيخ قبائل بكيل: أبو لحوم الشيخ سنان وهو يمتلك ما حول هذه الجبال من مزارع، مناظر رائعة وهواء طلق لولا التضاريس والمنعطفات الخطرة.

يوم الاثنين ٢٥ / ٧ / ١٤٢٩ توجهنا إلى مركز الخنساء لحفظ القرآن الكريم وقد أخبرني المرافق أن ما يزيد على سبعين حافظة للقرآن تخرجن من هذا المركز الصيفي تم إلقاء الكلمة في عشرين دقيقة مباشرة من غير حجاب إلا حجاب الوجه والكفين متخمرات بمروطهن غير العينين، وهذه المحاضرة السادسة للنساء في

ومن الجدير بالذكر أن في مدينة صنعاء مراكز، منها مركز الزهرة للقرآن الكريم النموذجي لتعليم القرآن الكريم للنساء.

وفي مسجد الشيخ عمر المختار يقيم الشيخ عبدالله عبداللطيف درسه بعد المغرب في جمع من طلبة التحفيظ للبنين وموضوعه ((الإيمان)) وكان يضرب الأمثال بالمجاهدين الذين آمنوا وصدقوا وأبلوا بلاء في سبيل الله، وهذا توجه أخذ به الكثير من الدعاة ممن تتلمذ على الشيخ عبدالمجيد الزنداني أو تأثر بكتبه ومؤلفاته، وكلها تدور حول الإيمان، ولاشك ولا ريب أن الإيمان هو مصدر الطاقة للمسلم في الجهاد والبذل والتضحية ولكن الذي عليه نهج الدعوة النجدية في نجد: دعوة الناس إلى توحيد العبادة وما تفيض به من الإيمانيات، والتركيز على تفسير ركني التوحيد؛ الإخلاص والمتابعة مع المتحدث عن مراتب الدين الثلاثة؛ الإسلام، والإيمان، والإحسان، وقد أكد لي هذا التوجه عند الشيخ عبدالله عبداللطيف - أعني التركيز على الإيمانيات- ما سمعناه في خطبة الجمعة، وهو المعنى الذي قاله في مسجد عمر المختار ثم ربط الشيخ بين الموضوع وجهاد عمر المختار، حيث قال: يا أبناء مسجد عمر المختار، صافحت الشيخ مصافحة بدون تعريف أو محادثة وهش وبش، وتولى كل إلى وجهته.

يوم الثلاثاء ٢٦ / ٧ / ١٤٢٩ جرت عاداتي في صباح كل يوم قبل طلوع الشمس أن أخطو خطوات يتبعها خطوات في الشوارع العامة الرئيسية، وبعد الإشراق أخرج على أقرب مطعم للإفطار كان ذلك في مطعم الحديدية (إيش تشتي صبوح) ماذا تريد أن تظفر؟ (أنشا خبز ملح و لحم مدقق) خبز بالفرن ولحم مفروم، وفي الساعة العاشرة منه توجهنا إلى قرية اليهاري على بعد ستة كيلو من إب ولكنها في تقديري ستون كيلومتر حيث التعاريج والطرق الملتوية كانت الرحلة لمشاهدة أنشطة دار القرآن الكريم الخيرية في قرية اليهاري يشرف على هذه الدار الشيخ عبدالكريم قاسم اليهاري، حدثني مرافقي أنه أنشأ مائة وخمسين مسجداً في خلال عشرين سنة في القرية وما جاورها، ومن جهود هذه التي تضم أنشطة عدة: إعداد الدورات التدريبية، والدورات التأهيلية وا

شاهدت المنشآت لهذه الدار وبها المبنى الرئيس أربعة أدوار في كل دور أنشطة، ومنها قسم النساء الحافظات، ويلي المبنى المسجد والذي يتسع لألف مصلي

على أحسن طراز، وقد ساهمت الندوة العالمية ببناء ملاحق لهذه الدار، ومما شاهدته في طريقي إلى اليهاري: مبنى على الخط الرئيس شيده اليابان هدية لحكومة اليمن مدرسة أهلية للمواطن، وفي اليوم نفسه توجهت إلى جمعية الحكمة الخيرية ومركزها السياسي في تعز، ولها فروع في جميع المحافظات ومنها فرع إب أنشئت عام ١٤١١هـ، أهدافها إدارة المساجد وإدارة مدارس تحفيظ القرآن، والإدارة العلمية، والإدارة الاجتماعية، إدارة القطاع النسائي، زكاتها عدد من الأعيان العلماء؛ كالشيخ ابن باز والشيخ الزنداني يرأس فرع إب: العالم الفاضل محمد المهدي التقينا بالشيخ محمود المدير العام للجمعية وأخبرنا أن الشيخ سليما المهنا القاضي بمحكمة الرياض سيأتي يوم الجمعة؛ لافتتاح مسجده في إب بناه على نفقته.

يوم الأربعاء ٢٧ / ٧ / ١٤٢٩ هـ ديت إلى مدينة جبلة بفتح الجيم وسكون الباء المتاخمة لمدينة إب في أعلى جبل وقد كتبت الدعايات في الشوارع العامة: (متحف الملكة أروى بمدينة جبلة) وكان ذلك في الساعة العاشرة، والملكة أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ولدت في عدن عام ٤٤٠ هـ وتوفيت في جبلة عام ٥٣٢ هـ عن عمر بلغ اثنين وتسعين سنة ودفنت في الجامع في جبلة خارج المسجد، وقد شيدت قصرًا من ثلاثمائة وستين غرفة عدد أيام السنة القمرية لكل يوم غرفة تبيت بها وتستقر بها، وبكل غرفة منفذ على مطلع الشمس لتشرق عليها ذكروا أنها كانت عالمة تحفظ الأشعار والأخبار وتواريخ وأيام العرب ولها تعقيبات وهوامش وكان تدعى بلقيس الصغرى قال شاعرهم:

وما التانيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال

ورثت الحكم من زوجها أحد بن علي بن محمد الصليحي ودولته تسمى الدولة الصليحية لها انتماء للفاطمية في مصر كانت قاعدة ملك الدولة الصليحية صنعاء اختارت الملكة أروى جبلة لتوسطها لأنها بين نهريين وأنشأت قصرها وأسمته بيت له وبقي من أثارها المتحف المكون

إلا أنه في حجمه لم يكن قصرًا، يحتوي المتحف على وصيتها بخط جيد أوضحت وعددت أصناف محتوي خزينتها من الحلى والجواهر مما يقرب من عشرين صفحة بخط متوسط، كما احتوى المتحف على مخطوطات منها: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ونسخًا من القرآن الكريم، والهودج، والمطارح، والمتكآت، وغيرها. وقد أعدت إدارة المتحف مذكرة من ٥٣ صفحة للتعريف بالدولة الصليحية والملكة أروى أنصار الدولة الفاطمية في مصر عصر الخليفة المنتصر، وهل كانت كسوة الكعبة المشرفة تصنع في مدينة جبلة أو في اليمن لعل ذلك لم يكن ولكنهم أوجدوا كسوة الكعبة في المتحف كمثال لصنع الكسوة فيها، والذي تأكدت منه وجود مساكن اليهود على مقربة من دار العز قصر الملكة أروى ولكنها والحمد لله خربة غادروا إلى فلسطين عام ١٩٤٨م وما بعده ويقال: أن جبلة اسم يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفخار في الموقع الذي بنى فيه دار العز فاشتراه السلطان عبدالله بن محمد الصليحي عام ٤٥٧ هـ وسمى مدينته النهريين؛ لأنها بين نهريين جاريين صيفًا وشتاءً، هذا واعتبرت طائفة البهرة أنها من أثارهم التاريخية، وهم يردونه تعبدًا، وإحياء لذكراهم. من الطريف أن المرشد السياحي في هذا المتحف فتاة في العاشرة من عمرها وهي تجيد اللغة العربية ولغات أخرى ليست إنجليزية بل لغات آسيوية مقابل مائتي ريال يمني؛ أربعة ريال سعودي، ومن محتوي المتحف تجسيد ثلاثة أوروبيين قتلوا في مدينة جبلة قبل أربع سنوات بدعوى أنهم مبشرون نصارى، وهم في الحقيقة يعملون في المستشفى ممرضين، والمستشفى تابع للإرساليات التبشيرية، وقد أجري

الحكم على القاتل بالقتل، وكتبت عبارات التسامح بين الديانتين الإسلام والمسيحية واعتبروا فعل هؤلاء يعني تعطيل المنافع ولكن هذا الحادث أحدث رد فعل لدى الإرساليات في اليمن خاصة في القرى والأرياف.

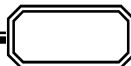
الخميس ٢٨ / ٧ / ١٤٢٩ مطالعة في الصحف اليمنية الديمقراطية ملحق أسبوعي في صحيفة الجمهورية في الصفحة الأولى ثلاث رسوم الرسم الأول: الأكوغ في لباسه الإفرنجي مع ربطة العنق () الجاكيت مع لبس الخنجر والعمامة، الثالث: صورة امرأة سافرة كاشفة الوجه وتحت هذه الصور التحالف الوطني الديمقراطي هل يختلط أوراق التوازن على رقعة السياسة.

رها في الشباب

الخاص لا يفاعل مع تشغيل النساء وهي مقبولة عندما تكون غير متزوجة في العمل بمجرد أن تصبح حاملاً، صحيفة الثورة عدد خاص ٥٦ صفحة الرئيس حضر حفل تخرج أكثر من ٢٨ ألف من طلاب وطالبات الجامعات، والصحيفة بجملتها سياسية دعائية محلية وعالمية خالية من التعرّيج على شيء من الدين، صحيفة الجمهورية أنجزت ٥٠% من المسح الاجتماعي للأسرة الفقيرة رئيس الجمهورية: الإنسان هو الثروة الحقيقية للوطن، توجه الحكومة بإعادة النظر في المناهج التعليمية لتعميق قيم الولاء الوطني، الحكومة تنفق ٢٧٢ مليار ريال على التعليم، ومن كلام الرئيس علي صالح: لا أحد وصي على الشعب اليمني ومن المستحيل عودة الإمامة بعد التضحيات بقوافل الشهداء، ويعني بالإمامة: الحكم الملكي بيت حميد الدين الذي انتهى بالثورة عليه عام ١٣٨٢ هـ وقد حكمت أئمتهم قروناً من آخر القرن الثالث الهجري إلى آخر القرن الرابع عشر من عام هـ إلى هـ.

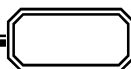
تابع يوم الخميس ٢٨ / ٧ ساقط بنا الأقدار إلى زيارة مؤسسة الصحابة الخيرية، مؤسسها ومديرها جمال بن علي غنديل، تأسست قبل أربع سنوات، وزكاها عدد من العلماء في اليمن والمملكة، مشاريعها دعوية ومراكز صيفية وكفالة أيتام وإفطار الصائم وتوزيع التمور وكسوة العيد وأضحية العيد والزواج الجماعي، وفي السنوات الأربع نفذت وشيدت عشرة مساجد وزوجت ثلاثين شاباً وكفلت مائتي يتيم، المقر الرئيسي مستأجر في شقة، والجهاز الإداري أربعة وللجمعية أعضاء مؤسسون وأعضاء عاملون ومساهمون للعمل الخيري، وفي يوم دعيت إلى وليمة عرس كان من الليل، والغداء بعد الظهر، بحضور مساعدة المحافظة يكثر على المائدة أنواع الأطعمة المحلية الوطنية؛ ومنها الحلبة، ويكثر اللحم المقطع، كلما كاد أن ينفد ما في الصحن زاد المضيف لحماً مقطوعاً ويجري الحديث والمداعبة على مائدة الطعام؛ حتى ينسى الأكل، مقدار ما أكل، ويسهل بالحديث المتواصل في ليله ويومه كما التقينا بأخ كان في العراق للدراسة في مرحلة الماجستير وأخبرته بما نشر في وسائل الإعلام الشيعية بأن زائري مشهد موسى الكاظم بلغ سبعة ملايين زائر فقال: هذا من كذب الروافض، فالمدينة بأكملها لا تسع نصف مليون، والمشهد ذاته لا يتسع لعدد المئات فكيف بالألوف والملايين، وذكر أنه عاش في العراق وتعرف على مزارات ومشاهد الشرك فيها مما جعله يؤسس مكتبة أسماها المكتبة السلفية بجوار جامعة إب، وذكر أنه يرثها عدد من الطلاب الجامعيين

يوم الجمعة ٢٩ / ٧ شرفني بالزيارة خطيب جامع إب القديم الشيخ عرفات، ووعده بالصلاة معه يوم الجمعة فكان ذلك بمعية الأخ الفاضل بدر الحاتم من عودة سدر وممن يصطاف عادة في مدينة إب على التاكسي، وليس بتاكسي ولكنه الباص الصغير الذي يحمل عادة جمعاً من الركاب، الجامع وسط المباني الحجرية الجبلية



التي تعج بشكمانات الدراجات النارية، لضيق وصعوبة الصعود إلا على أهلها ولو من كبار السن، وصلنا مسجد الجامع الكبير في بنائه الصلب وأعمدته الحجرية، يتوسط المدينة، ومنها تشعبت الشكل والطرق التي خططت على مقدار سير الماشي والداية من الحجر عبر الجبال إذ يقل استخدامها، خطب الخطيب وأبدع بروح الشباب وقوة المجاهد، وصلى غير الخطيب، سألت فقيل: هذا هو الإمام الراتب. دعاني الأخ عرفات، وليست دعوة، ولكنها إلزام كعادة اليمنيين على الغداء. ما هذا يا أخ عرفات؟ قال: هذه سفنة، وما هذا؟ هذا شفوت، وما هذا الخبز؟ هذا ملح. ومما شهدته: الموز المقشور على الأرز بجانب اللحم المقطع أكثر الله لحمه

يوم الجمعة بعد المغرب في مسجد الرحمن يلقي محاضرة فيه الشيخ عبدالرحمن المهنا القاضي بمحكمة الرياض جاء يفتتح مسجد الإمام شيد على نفقته أو بواسطته. ومما يشار له: تلك الأيدي السعودية الباذلة في سبيل الدعوة والدعاة، فقد شاهدت المنشآت الخيرية ومعظمها المساجد وعلى نفقتهم وبواسطة الجمعية والأفراد من أهل اليمن كجمعية التكافل الاجتماعي الخيري وجمعية الحكمة ومركزها الرئيسي في تعز ولها مكاتب في صنعاء وحضرموت وعدن والحديدة.



إب رمانة اليمن

لك أن تصف الرمانة باستدارتها وخضرة قشرتها، وحلو وحموضة طعمها وتراكم حبوبها من الفواصل الرقيقة بين حباتها وهي إب المدينة الحلوة بهذا الوصف تخلق بيئة اجتماعية وسلوكية يتناسق مع طبيعة التضاريس. إب تنتمي بها الأنشطة الدعوية بمسميات الجمعية الخيرية العامة ساعد على ذلك ترسيم كل عمل ولو بصفة فردية رسمياً، يسجل في وزارة الشؤون الاجتماعية وبهذا الاعتراف أثرت الجمعيات بموارد مالية من الخارج كما تم تشغيل سواعد تعمل لصالح الوطن باسم الدين والوطنية

كتل غير منهج أهل السنة يزاحمون العمل الخيري والديني في اليمن، سألت أحد سائقي التاكسي عن هذه العمارات المزينة بحجارة أشبهت بما يسمى عندنا بالسراميك فقال: هذه آثار المغتربين، أما المواطن المقيم في بلده لا يمكنه الحصول على مثل هذه، وقد أعجب بعمارة مجاورة لبيت الشيخ علي حاج فقال: صاحب هذه العمارة أمريكي متجنس متزوج أمريكية ويمنية، ومثله كثير في دول عربية وأوروبية وأمريكية مما يصدق قول صاحب التاكسي: إن هذه الظاهرة العمرانية من كسب اليمني خارج بلده وهناك عمارات متشابهة نلفت النظر بتصميمها وهندستها فقال: هذه للبهرة يصطافون بها عادة في الصيف ثم يعودون إلى وطنهم.

يوم السبت / سمعت أنشودة وطنية هيجت القريحة بالأبيات التالية:

يا منشداً شعر أوطان بها العجب
شمخ الجبال بها الأشجار سامقة
خضراء تربتها وأرضها ذهب
من سفح مرتفع شلالها سكبت
عذب المياه زلال الشرب لو شربوا
نهار وداي الجنات^(١) لو عقلت
طيورها أنشدت شعراً به الطرب
يا إب^(٢) أنت ملاذ الشاجي تغمره
جانه من يراك يهرب التعب
ما آثار من سلفو^(٣)
ملوك حمير من شادوا فخرها العرب

(3) وداي يسير طوال السنة يصب في البحر الأحمر.

(4) هي المدينة الثانية بعد العاصمة صنعاء عرفت بجمالها وجبالها.

(5) عاصمة الدولة الصليحية في القرن الثالث إلى الرابع الهجري في اليمن.

ما قبل الألف وفوق الألف قل مائة

(^١) تشيد مناراً قصراً وهي تـ

ما ضر شمساً بتأنيث لها وصفت

ولا الهلال إذا ذكرت يقترب

عد المنازل عد العام جملتها

يوم تحل الشمس ثم تغرب

كم شيد وأهلها حصناً ومرتفعاً

قلاع حرب إذا ما الحرب تلتهب

هذا الرقاع رقاع الخط تكتبه

أنامل من طغى عليها الدهر والحقب

تدعى السعيدة وهي اليمن مطلعها

فأبدلوا الفتح ضمّاً صح الصدق لا الكذب

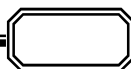
الأحد / / هـ وصلت بنا عجلة التاكسي إلى جامعة إب الجامعة الحديثة تأسست عام ١٣٨٥م وهي خامس جامعة حكومية في اليمن من حيث تاريخ إنشائها وتهدف إلى:

- تنشئة مواطنين يؤمنون بالله منتمين إلى وطنهم وأمتهم.
٢- العناية باللغة العربية وتدريبها وتطوير المعرفة بإجراء البحوث العلمية في مختلف المجالات إلى آخر ما ذكر من أهداف وعدد ١٣. وجامعة إب عضو في اتحاد الجامعات العربية، وعضو في اتحاد الجامعات الإسلامية العالمية وللجامعة أقسام عدة: الكليات الإنسانية وتشمل: كلية التربية، وكلية الآداب، وكلية التجارة، والكليات العلمية وتشمل: كلية العلوم، وكلية الزراعة، والهندسة، والطب، وهي وإن كانت حكومية إلا أنها تأخذ رسوماً رمزية: رسوم الدليل خمسمائة ريال، ورسوم

اليمن وخارجها سواء على منحة دراسية أو على النفقة الخاصة تقع على الخط الدائري تحيط بها الأسوار من جهاتها الأربع ولا حرج أن ترى الطالبات يراجعن القبول والتسجيل مع الحجاب الكامل والأدب الإسلامي دخلت الجامعة وسألت عن المكتبة فقالوا: لا يوجد مكتبة خاصة للطلاب وإنما هي المكتبة السلفية التابعة لجمعية الحكمة خارج الأسوار وعند البوابة الرسمية

يوم الاثنين ٢ / ٨ / ١٤٢٩ هـ اتجهت إلى تعز بالنقل الجماعي بستمائة ريال يمضي قيمة التذاكر ما يعادل اثني عشر ريال سعودي على بعد ستين كيلو من إب تختلف المناظر اختلاف التضاد، فالجبال التي تكسوها الخضرة اختفت عن الأنظار

(6) ملكة الدولة الصليحية المتوفاة سنة ٥٣٢ هـ شيدت قصر العز من ثلاثمائة وستين غرفة عدد أيام السنة القمرية.



بجبال سود غرابيب، وأبهة المنظر عند الرجال في إب بالعمامة والخناجر الجنبية وصفاء البشرة تستبدل عند أهل تعز بالأزار الملون والقميص نصف الكم والإحتباء عند الجلوس بخيط أعد لذلك بعرض عشرة سنتيمتر، فإن لم يكن فبغترته، اختلفت عوامل الطبيعة فاختلف الطبع، وفي فندق النصر تعمل المراوح ليلاً ولا يوجد مكيف حتى في المساجد مع الحاجة إليه وحرارة الجو، وقد تعد من الكماليات، ومما لفت نظري عند دخول تعز لوحة كتب عليها: مركز جباية الضرائب على القات، إنه القات القاتل لأونات المدخنين المدمنين عليه، وفي جولة سريعة في شوارع تعز رأيت منارة طويلة ومأذنة مسجد على مرتفع جبل تلفت النظر بزخرفها الملون بالأخضر، وبعد وصولي إليه رأيت ما كتب عليها: مسجد الحسن بن علي -كرم الله وجهه فإن لم يكن مسجد شيعي فهو مسجد بدعي.

لم أتصل بأحد في تعز مع رغبتني في رؤية مسجد معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قيل: إنه نزل أول ما نزل في اليمن هناك، غير أن تبدل الحالات وصور المعاملة أوجبت سرعتي بالتوجه إلى عدن مع وجود بعض عناوين الجمعيات والأفراد في تعز في الصباح الباكر يوم الثلاثاء ٣ / ٨ / ١٤٢٩ هـ كان توجهي إلى النقل الجامعي بثمانمائة ريال يماني قيمة التذاكر، وعلى بعد مائة وستين كيلومتراً من تعز صادف أن كان بجواري في المركب رجل يماني من شبوة بالجنوب جرى الحديث معه إلى درجة الإغلاق في الأحوال السياسية والاجتماعية والدينية، كنت أظنه عاملاً لا يعرف شيئاً في الحياة فإذا هو قاموس مرجعي في شئون الحياة اعتنق الشيوعية فالبعثية العراقية فالناصرية، وقال: جربت المبادئ، وخضت غمار الأفكار المستوردة وقال: ليس هناك حياة بغير الإسلام، هأنذا أعود إلى التوجه السلفي السعودي وكل ما تلقينته ليس عن قناعة، ولكن الجو السياسي والاجتماعي يملي علينا إرادته من غير قناعة ولا التزام عقدي وإنما هي المظاهر والشعارات وهاهي تذهب لرياح.

يوم الثلاثاء ٣ / ٨ / ١٤٢٩ هـ دخلنا عدن وفي المنصورة نزلت فندق قصر المنصورة فندق شعبي بألفين ريال يماني أربعون ريالاً سعودياً اليوم الواحد والليل، وعلى بعد أمتار منه مسجد الرضا الذي أصلي فيه صلاة الظهر فأجد مئات المصلين تضيق بهم مداخل المسجد ومخارجه على سعته وكبره.

عدن التي نعمت بالاستعمار الإنجليزي أمنياً واستقراراً ورخاء حتى كانت طعمة للشرق الشيوعي الماركسي وفي ذلك العهد كنت في عدن عام ١٣٩٧ هـ فرأيت من كتم الحرية وإظهار لإباحية، ومنار الإلحاد قد ارتفع سنه، ودارت الحرب بين شمال اليمن وجنوبه حتى كانت الجمهورية الديمقراطية حلت محل الشيوعية، فكانت المتنفس للإسلاميين بالكلمة والموعظة الحسنة، حنانيك بعض الشر أهون من بعض واتحدت اليمن وأصبحت دولة واحدة مع طول الانفصال وتباين الفعال جبت شوارع المنصورة وهي مدينة تبعد عن عدن قرابة أربعة كيلو يفصل بينها وبين عدن القديمة بحر ولكنه مردوم أشبه بالجسر بين المدينتين ومجاورة لمدينة المنصورة مدينة الشيخ عثمان وفيها أسواق تجارية وكثافة سكانية، ومن مآثر الإنجليزي التخطيط لمدن عدن بالشوارع الواسعة المستطيلة المزدوجة، هاتفت الشيخ عارف دحلان رئيس جمعية الحكمة في عدن وعقدت معه موعداً وكان ذلك صباح يوم الأربعاء / / هـ.

/ ٨ / ١٤٢٩ هـ توجهت إلى جمعية الحكمة فرع عدن، وهي على

فكان لقائي بأعضاء الجمعية وعدد من الدعاة المعبر عنهم مديرهم

الشيخ عارف دحلان وبعد التعريف أهديت له كتابي ((

التعريف على الغلاف فسر بذلك وتمتم بكلمات الترحيب إذ أن بلسانه عجمة أو لثغة سألت هل تجدون معوقات ومصادمات مع الآخر قال: نعم: الرفض على أشده والصوفية في أوجها والسياسية من وراء ذلك، سألت: من أشد من يعارضكم جماعة الشيخ مقبل الوداعي، فقد مات -رحمه الله- وتبنى تلامذته حركة سياسية تلتقي مع الحوثي بل مع إيران، وهو القول بأن إمامة أهل البيت باقية، ومع سلفيتهم إلا أنهم يتحالفون مع جماعة الحوثي بهدنة على أن يكف كل عن الآخر. هل لهم وسيلة إعلام تبرهن عن أفكارهم؟ نعم أشرطة وصحف ومنها صحيفة البلاغ وخطب على المنابر وفي المساجد، طلب الشيخ عارف أن أعود إلى المركز ليلاً؛ ليكون اللقاء بالدعاة المنضمين في جمعية الحكمة ليجري الحديث معهم، فكان ذلك، وكانوا قرابة العشرة، جرى الحديث معهم في أساليب الدعوة وأهم ركائز العمل، وبينت ثلاثة طرق هي الخطوط العريضة للدعوات القائمة؛ تفسير التوحيد بالحاكمية أو توحيد الربوبية، أو توحيد الانقياد هو ما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه

أمضيت معهم ساعتين أعقبه العشاء والانصراف، ولا أعرف لمن لقيت فيهم الحماس والاندفاع إذ أن وسيلتهم قاصرة وأساليبهم تحتاج إلى إعادة نظر، سألوني عن وسائل الدعوة فقلت: الإكرام والمحبة والاحترام وإشعار الآخر بعدم التعالي عليه، وتعليمه ما يجهل وخاصة المتسمين بالعلم ثم تظهر الحقيقة بالواقع العملي. سألت عن مزار العيدوس الذي مُنِّت الكتب من ذكره ومدحه وقده، ركب الباص بثلاثة قروش مع جمع من الركاب، وصلت المسجد وأمامي لائحة بترجمته وذكر موته وولادته في القرن الثامن الهجري، وعلى جانب المسجد الكبير مسجد صغير فيه ستة قبور وقد غطيت باللون الأخضر وبارتفاع نصف متر والمصلى بجانب القبور يكون عن يساره المقابر. رأيت شابين كل منهما يقرأ القرآن متجهين إلى القبور بصوت خافت، عرجت على الجامع الكبير وهو جامع أثري قديم قدم مقبرة الشيخ عيدروس وعلى بعد أمتار منه تكون المقابر لآل العيدروس ولكن لا قباب عليها. تجولت في المسجد وسألت عن المكتبة فلم أجد القائم عليها، خرجت لأصلي في مسجد ليس فيه مقبرة تجولت في عدن فرأيت مقبرة اليهود مسورة، وذكّر لي أن اليهود يدفعون إيجاراً؛ للحفاظ عليها. كما شاهدت معبد البهرة في المباني القديمة المهجورة، وشاهدت المتحف الوطني سكن السلطان القعيطي ولم أدخله إذ أنه مغلق بعد الظهر واكتفيت برؤية المتحف الحربي في عدن.

في يوم الخميس ٥ / ٨ / ١٤٢٩ هـ أتوجه إلى جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية في عدن القديمة، وبواسطة تاكسي توصلت إليها فكانت في مبنى دائرة حكومية مؤجر للجمعية، التقيت بالأمين العام ومدير العلاقات وعرفتهم بنفسي فكان ترحيباً يوحى بالتمازج الروحي ووحدة الاتجاه الدعوي، بحثنا جوانب عدة وأوضح الأمين العام ركائز العمل في الجمعية مراكز دعوية وإغاثية وتحفيظ القرآن وتعليمه وعدد أنشطة عدة كما زودني بنشرات إعلامية عن منجزات الجمعية فرع عدن. ثم عرضوا علي زيارة الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم وجمعية اقرأ فكان ذلك بصحبة الأخ أيمن على سيارة الجمعية، كانت جولة مباركة تعرفنا على الكثير من أحوال عدن وأخبرتهم بأنني زرت عدن عام ١٣٩٧ هـ ولا مقارنة بين الحال هذه وحال الماضي والحمد لله كانت الوحدة بين شطري اليمن ودواعي الائتلاف والتعاون، عدنا إلى مقر الجمعية بعد صلاة الظهر في المسجد، وأصر الأخ ناصر - أحد منسوبي الجمعية- على دعوتي للغداء في فندق خاص بالضيوف والمناسبات،

أن أوصولني إلى الفندق على أن يكون لنا لقاء يتكرر إذ بقي لي في عدن أربعة أيام ليكون سفري يوم الثلاثاء إن شاء الله.

وفي اليوم نفسه توجهت إلى المتحف الحربي وسط مدينة عدن القديمة من طابقين بمعية الأخ أيمن من جمعية الإصلاح، ودفع الرسوم، تجولنا في المتحف وبه فنون الأسلحة القديمة لبيت حميد الدين يحيى وأحمد وبعض زعماء وشخصيات عدن الجنوبية ووثائق تاريخية كوثيقة معاهدة الطائف وقعتها من الجانب السعودي خالد بن عبدالعزيز آل سعود، لم يكن عليه إقبال، ولم أر سائحاً عربياً أو أجنبياً في المتحف، وغالب رواده من سواد الناس وهم قليل، بحثت عن الفندق الذي سكنته في عام ١٣٩٧ هـ فقالوا: هُدِمَ وهو الفندق الوحيد الذي خصص للأجانب غير اليمنيين، عدن والتي كانت في احتلال الإنجليز مائة وتسع وعشرين عاماً شأنها شأن المستعمرات ترضى من اللحم بعظم الرقبة، ومع هذا فقد بقيت آثار الاستعمار بارزة المعالم في التخطيط الهندسي العمراني وفي بعض الأحياء كمديرية المعلا كأنك في لندن عمارات من خمسة أدوار موحدة الشكل بين شوارع رئيسة ثلاثون متراً وأكثر وأقل، سألت عن حي لينين في عدن الذي بناه الشيوعيون فقالوا: لا يزال ولكن ليس بهذا الاسم، عدن صالح لأن يكون مركزاً تجارياً عالمياً ينافس سنغافورة ودبي عسى ألا يكون تبقى عدن بلداً إسلامياً طاهراً من منتجات الشركات الاستهلاكية ومعلبات البلب الدعاية والاستغلال.

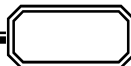
يوم الجمعة ٦ / ٨ / ١٤٢٩ هـ قراءة في ما لدي من النشرات والإعلانات والتعريف بمراكز الدعوة والتعليم كل جهة تعليمية أو دعوية تعرف عن ذاتها بالنشرات والكتيبات فكان لدي حصيلة مم يهدى بغية الدعم والمساعدة ولو بالدعاء:

١- الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم لها نشرة (مائدة القرآن) في الصفحة الأولى صورة الشيخ سلمان العودة والشيخ عائض القرني يزكون الجمعية وغيرهم من اليمن.

- الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع محافظة ريمة، ولها نشرة بعنوان كان لفرع الجمعية في عدن نشرة بهذا العنوان () .
- دليلك إلى التكافل تصدرها جمعية التكافل الاجتماعي الخيرية في إب ونشرة أخرى بعنوان الخير وتعداد المشاريع المستقبلية للجمعية.
- جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية لها نشرات ودوريات زكاها سوار الذهب وسلمان العودة وعبدالمجيد الزندان وغيرهم من الأعيان.
- الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع إب ولها نشرة عن مراكزها النسوية وصور من إنجازاتها ومشاريعها المستقبلية.
- دار القرآن الكريم النموذجية الأهلية صنعاء العطاء المتجدد نشرة في كتيب صغير ملون فيه نظام الدراسة وحديث الصور.
- الدليل التعريفي بمؤسسة الصحابة يضمن التزكية من علماء يمنيين وسعوديين، الشيخ سعد الحميد وعمر العيد مع بيان المشاريع المستقبلية وتكليفها.
- دار القرآن الكريم الخيرية البهارية وهي مستقلة غير مرتبطة بالجمعية الأم.
- مدرسة عمر بن عبدالعزيز مديرية السمانى تعمل استقلالاً غير مرتبطة

- جمعية الحكمة اليمانية لها نشرة مسيرة الخير.

وفي عصر يوم الجمعة سألت عن المنتزهات وأماكن الترفيه في عدن وأشاروا إلى كورنيش الشعبي على البحر بين عدن والمنصورة فاتجهت إليه وكان فعلاً



كورنيشاً ولكنه كان خالياً من الرواد لا مواطن ولا غيره سوى عدد قليل العوائل اليمنية وعلى امتداد الكورنيش كراسي خشبية جلست إلى جانب شاب بعد الاستئذان سلمت عليه وقلت: أنا إسماعيل بن عتيق، فقال:

عندنا آل عتيق من شبوة فهل أنتم الأصل أم هم؟ فقلت: كنت بجوار رجل من شبوة في سفري من تعز إلى عدن وأكد لي وجود آل عتيق في شبوة، اتجهنا إلى المسجد لصلاة المغرب ثم دعاني لشرب الشاي في مقهى قريب من المسجد تحت عمارة أسفلها دكاكين وأعلىها جامعة سبأ، سألت الشاب: هل هذه الجامعة أم قسم منها؟ فقال: هذه جامعة أهلية، ويمكن أن تكون أصغر من ذلك، والأخ الشاب من مواليد خميس مشيط، وكان والده يعمل بها ويتأسف على ما حصل بين المملكة واليمن مما سبب تنظيم السفر بين البلدين، عدت إلى المنصورة لأصلي صلاة العشاء في مسجد الرضا بعد أداء سنة المسجد دعوت شاباً في الثانية عشر من عمره سألته من أي القبائل؟ إذا جئت إلى عدن؟ للاشتراك في دورة تحفيظ القرآن الكريم، من يكفلكم؟ الجمعية تهبي لنا السكن والإعاشة والتعليم ثم نعود إلى بلدنا وقت الدراسة في المدارس الحكومية وبهذه البعثات الشبابية ترى المساجد بالأخص الكبريات منها تتزاحم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم من قبل صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء غرس يرجى ثماره إن شاء الله.

يوم السبت ٧ / ٨ / ١٤٢٩ هـ جولة على المكتبات التجارية قريبة من مسجد أبان بن عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - مكتبة الثقافة، دار الكتب العربية، مكتبة خالد بن الوليد، مكتبة أم القرى، ولكنها في عدن غير كثيرة وأكثرها قرطاسية وأدوات مكتبية كنت قصدت شراء كتاب الشيخ إسماعيل الأكوخ ((هجر العلم ومعاقله في اليمن)) فلم يكن من المعروضات رغم شهرة المؤلف ووطنيته إلا أنه من الشمال مسجد أبان بن عثمان بن عفان صليت به صلاة الظهر سألت: من بنى المسجد؟ فقالوا: أبو عبدالرحمن الحكم بن أبان بن عثمان - رضي الله عنهم - وقبره في قبلة المسجد عند المحراب وقفت على القبر وقد كتب عليه لوحة حديثة قبر أبي عبدالرحمن الحكم بن أبان بن عثمان بن عفان ولم يكتب التاريخ وقد غطى القبر بخرق بالية غيرت لونها حرارة الشمس القبر مكشوف وكأنه مهجور لا رواد له ولا سياح، وقد كنت توجهت قبل ذهابي إلى المكتبات إلى جمعية الحكمة في عدن أنشدها مرشداً للمكتبات فاكتفوا بكتابة أسمائها واعتذروا لأنهم في استقبال رجل سعودي ينظر لبعض المساجد واحتياجاتها، هذا ومما يجدر ذكره أن أئمة المساجد وخطباء الجمع خارج مدينة عدن القديمة ممن تأثروا بالتوجه السعودي السلفي بل وفي المساجد من مطبوعات المملكة ونشرات الدعوة والمطبوعات الشيء الكثير، رأيت في محراب المسجد شرح التوحيد للشيخ صالح الفوزان ورسائل للدعوة للشيخ عبدالعزيز بن باز وابن عثيمين ومطويات لدار القاسم بالرياض والحمد لله رب العالمين.

مطالعات في صحيفة الشارع الأسبوعية ستة عشر صفحة وفي الصفحة الأولى تفاصيل عن حسين الحوثي وجانب آخر عن قصة الصراع داخل الزيدية ومع مقبل الوادعي والوهابية حين حاول عام ١٩٩٧م إلقاء محاضرة في جامع الإمام المهدي في صعدة فاكتظ الجامع بالمسليحين والتفت عصى الخيزران حول رقبته، وفي الصفحة السادسة من الصحيفة تفاصيل العنوان مع صورة الوادعي والحوثي الصحيفة عن الشيخ مقبل وتأثره بالوهابية بعد أن حج وأقام في المملكة مدة ليست بالقصيرة كما تحدثت بإعجاب عن مدرسة حسين الحوثي والتفاف الشباب حوله غير

أن الشيخ مقبل وصراعه مع الزيدية في صعدة شكل مركزه في (دماج) مصدر إزعاج وقلق على منتديات الشباب المؤمن ويعني بالشباب المؤمن أتباع حسين الحوثي وفي جانب الصفحة مسجد ضرار ذكر أنه ذكر أن محسناً سعودياً بنى مسجداً وشرط أن يكون إمامه وهابياً، وقد تندرت الصحيفة على الشيخ مقبل بأنه يحرم الكوسة والخيار؛ لأن حجمهما وطولهما يشهي المرأة للجماع، وأهم من هذه دعوى ارتباط الحوثي بإيران وينفي صحة ذلك لأن شيعة إيران يقولون بالإمامة الاثني عشر من أهل البيت والزيدية تطلق الولاية لأهل البيت، والذي يظهر أن صحيفة الشارع هي من الصحف المؤجرة المتاجرة بالكلمة لبث النزاع بين المسلمين.

الأحد ٨ / ٨ / ١٤٢٩ هـ الإنجليز يرممون آثارهم في عدن، بقي من آثار الإنجليز الذين دام حكمهم لعدن والمحميات مائة وتسعة وعشرين عاماً بقيت المقابر والكنائس وساعة بق بن وتمثال الملكة، أما المقابر فيدفع الإنجليز عليها الإيجار كما هي مقابر اليهود والساعة في أعلى الجبال على شكل ساعة بق بن من غير جرس، والتمثال يرمم بتلميعه بالدهانات والطلاء، والكنائس يعاد ترميمها، ومما ذكر لي أن كنيسة في عدن حولت إلى مرقص، في عهد الشيوعية ثم كانت مدرسة والعمل الجاري في تحويلها من مرقص وأندية سمر أهل عدن ليكون على الحالة الأولى أيام الإنجليز فلا اضطراب أمني، والبواخر التجارية تمخر البحر من المحيط إلى شط العرب بالبضائع والمنتجات الأوروبية، والتجارة مزدهرة، ورأيت نفقين فقلت: هذا من آثار الإنجليز؟ فقالوا: بل هو من الصين بتمويل كويتي، كان موعدنا لحضور حفل مركز الإتيان للعلوم الشرعية التابع لجمعية اقرأ بمناسبة تكريم المتفوقين من حفظة القرآن الكريم في قاعة تجارية مدرجة كان الحفل تحت رعاية مدير عام مكتب الأوقاف والإرشاد في عدن، بدأ الاحتفال بالأنشيد الشبابية ثم قراءة نماذج من الحفظة على مختلف الأعمار، فتقديم الهدية الرمزية، وقد زدنا بنشرة عن المركز فيها أنه مركز مخصص للعلوم الشرعية والقرآن وعلومه.

وفي مغرب هذا اليوم هاتفني الأخ أيمن من جمعية الإصلاح؛ فنحن على موعد لحضور حفل تكريم في مسجد الرحمة بمديرية الروضة فكان ذلك في وقته حيث جرى الحديث معهم في مسجد يكتظ بالطلاب الحفظة ومناولة الفائزين المتفوقين الجوائز، وبعد صلاة العشاء توجهنا إلى المرفأ للبواخر والسفن التجارية ثم إلى المنتزه البحري بصحبة الإخوة الثلاثة وبدعوتهم أقاموا حفل عشاء السمك، وكان نسمات البحر في الجو اللطيف المنعش يبحر الحديث وطول الجلسة يمتد إلى الساعة العاشرة نشكر الإخوة على دعوتهم وموانستهم وبالأخص القائمين على جمعية الإصلاح الخيرية وجمعية اقرأ التقينا بالعالم الفاضل الواعظ الشيخ محمد بافضل من حضرموت لكنه يقيم في الرياض منذ ما يزيد عن أربعين سنة كما التقيت بموظفي القنصلية السعودية لتسجيل الجواز، والشكر والدعاء لمن ساهم في خدمة الأيتام حيث ذكر لي أن بعض موظفي القنصلية يشارك ويساهم في هذا المجال، وقد ذكر لي الإخوة أن ما يزيد على اثني عشر ألف صومالي هم لاجئون في عدن وفيهم الأيتام وكبار السن في مخيمات خارج المدينة تحت رعاية منظمات دولية إنسانية كما يسمونها مع ما تقوم به الجمعيات الخيرية كجمعية الإصلاح وجمعية اقرأ في هذا الدور المحمود أعانهم الله.

يوم الاثنين ٩ / ٨ / ١٤٢٩ هـ كان ختام الجولات والزيارات جمعية الإحسان الخيرية فرع عدن وهي على شاكلة أخواتها من الجمعيات الكثيرة والتي تعنى بكفالة الأيتام، وحلقات القرآن، وحفر الآبار، وزواج الشباب، وتوزيع التمور، وفي لقائي مع أعضاء الجمعية سرنى التوجه المعتدل الذي ينبني على الإخلاص وتحرر العمل

الخيري بجميع أسبابه. وكلمة أخيرة في اليمن الجنوبي عدن يظهر أن هناك وئام غير عادي بين المملكة واليمن أعني الشعبين حيث تبادل الزيارات، وحضور حفلات الزواج ساعد على ذلك كثرة اليمنيين في المملكة ومن هو مولود فيها، أو عنده الإقامة الدائمة مما جعل هذا الارتباط يسفر عن توجه تربوي سموه التيار السلفي السعودي يظهر ذلك في أئمة المساجد في ترك البداءة بالبسملة في الصلاة والجهر بالنية، وأقولها كلمة حق بأنني لم أر شعباً أرق طبعاً وأحلى عذوبة في الكلام في حدود طاقتهم كشعب اليمن الجنوبي، من النساء من يمارس العمل في المكاتب والمتاجر والفنادق فلا ترى عليهن آثار سوء محجبات بالنقاب الساتر الكامل باللباس الأسود والكف، وفي المساجد قد تتعدد الجماعات في أداء الصلوات لكثرة المصلين بنسبة ٨٠% من الشباب مما دفعني أن أقول هذه الأبيات عن عدن مع وجود طوائف أخرى كما هي في البلدان المستقلة من المستعمرات ولكن من يغمرهم سحاب السواد الأعظم هم المسلمون والحمد لله.

كان اللقاء وكان الحب والقبل

فهل أراك بعيد الحب تنتقل

حدا بي الحسن إذ كنت الريب له

أن أنظم الشعر في وصف له مثل

وما اشتياقي لشيء كنت أضمره

إلا الذي شدني من حسنه أمل

جنات عدن إذ ما فتحها غلط

فسكنوا الدال كيما يصدق المثل

تلقى سلاماً بأصوات مرخمة

يك عنهم شفاه فوقها مقل

لباسهم وزرة والشد من وسط

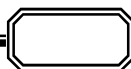
لبس التكا

إن كنت مؤتمناً فاركن لساحتهم

أهل الأمانة ما خانوا وما نكلوا

مسالمون لهم في السلم منقبة

ينبيك عنه فلا خوف ولا وجدا



هم الذين سعو، والدين أظهره

أباؤهم أين ما حلوا أو ارتحلوا

معاذ أرشدهم للدين وانتظموا

ولكن أسود العنق

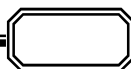
أوصى الرسول علياً أن يخاطبهم

خطاب ود فما حادوا وقد نكلوا

أقبل حديثي وقولي عن عدن

حديث صدق فلا سهل ولا جبل

// / هـ عودتي إلى الوطن من مطار عدن إلى مطار الملك
خالد الدولي بالرياض، ومن الفوارق أن ذهبنا إلى اليمن بالخطوط اليمنية بألف
وثلاثمائة ريال سعودي، وعودتي بسبعمائة ريال فقلت: لماذا هذا الفرق :
مراعاة للمسنين، سألت عن أجرة النقل الجماعي فقالوا: من الرياض إلى صنعاء
مانتي ريال سعودي ومن صنعاء إلى الرياض مائة ريال سعودي ولعل هذا التنظيم
لتسهيل الخروج من اليمن أجنبي أو غيره أمضينا ساعتين في الجو وكان الإقلاع في
الساعة الثانية ظهراً وبعد مرور ساعتين هبطت بنا الطائرة في المطار والحمد لله
على السلامة أمضيت خمسة وعشرين يوماً في اليمن؛ في صنعاء أربعة أيام، وفي
تعز ليلة واحدة، وفي إب ثني عشر يوماً وفي عدن ثمانية أيام
تعجز السطور عن رقمها، المناخ، قمم الجبال، مسالك الناس، الأحوال الاجتماعية،
الظاهرة الدينية، الطيبة البشرية، دور السياسة، الطوائف، القبيلة، في سير عجل
الشعب العبث بمقوماته من وراء ذلك السياسة الخارجية ودعوى العلمانية
الديمقراطية، ولإتمام الفائدة؛ سجلت بعض المظاهر الاجتماعية في عدد من
الأرقام، وما أحمله أكثر، ويصعب حصر الأحوال إلا على سائح اجتماعي
متخصص، وسائح فضولي يكتب ما يقال: ويرى من غير حاجة لتسجيله وتدوينه
هـ أن كان زل قلم أو انزلق قدم، والعذر عندك



ظواهر اجتماعية في اليمن

١- الزي التقليدي اليمني في اللباس والثوب أو الإزار للرجال مع التمنطق بالحزام يتوسطه الخنجر مما يوجب رفع الثوب أو الإزار إلى منتصف الساق، والكثير يفضل أن يكون طويلاً خاصة طلبة العلم، وعلى الرأس تشد العمامة، وليست عمامة بالمعنى السوداني، ولكنها غترة تلف على الرأس بطريقة سريعة يكون لها ذيل وطرف أمامي لا تعيق على العمل ولا تشغل المصلي.

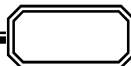
- مشاركة الأطفال في الأعمال فترى الطفل في العاشرة من عمره يشارك أباه في المتجر يدير المتجر في غياب والده، وفي العاشرة ترى من يحمل على ظهره سطلاً بالمبرشوم (التين الشوكي) ليسوقه على المارة بتقشيريه وبيعته، وفي المطاعم من يكون أحد عماله وأمام الفنادق ماسحي السيارات من الأطفال، وقد سألت أحدهم: ما شغلك؟ فقال: مرشد سياحي. ولعل ما حصل هو نتيجة الفقر، أو يكون ذلك عادة في البلد كما هو عند المزارعين ورعاة الأغنام قديماً، ولا شيء في ذلك إذا كان قادراً

٣- حفلات الزواج يكون في ضحي اليوم إلى ما بعد الظهر وفي الليل تزف المرأة إلى زوجها، كما ظهرت في المدن حفلات الزواج الجماعي برعاية الدولة والمنظمات والجمعيات الخيرية أربعمائة فما فوق يعد لهم حفل واحد لا أدري عن مشاركة النساء؛ لأن حفل الرجال قد يكون في الأندية الرياضية أو سعة من الأرض.

كثرة الجمعيات والمنظمات الإنسانية أعني بالجمعيات الخيرية والمنظمات الإنسانية والمساعدات الخارجية، تصور جهد رجل واحد يعمر مائة وخمسين مسجداً بين القبائل وقمم الجبال بالحجر والخرسانة المسلحة، وآخر يكفل ثلاثة آلاف يتيم في محافظة واحدة، وثالث يقوم بشراء مركز للتجمع الدعوي كمركز التكافل الاجتماعي وجمعية الحكمة اليمنية وهذا مثال، أما المنظمات الإنسانية فتشمل المستشفيات ودور التعليم والعمل المهني والطرق من دول عربية وأجنبية، واليمن يفتح ذراعه لكل راغب وطالب كيف تملأ جوعه خمسة وعشرين مليوناً باقتصاده المحدود وتتابع الولايات على اليمن في ظروف داخلية واختلافات طائفية ناهيك بالإعلام المرئي الذي فتح الشهوات وأوضح عن المخبات ومع الهجرة المتزايدة فإن اليمن ينمو نمواً يضاهاه كثيراً

الجمعيات والمراكز الخيرية والشيعية بمدنها المتواصل للزيدية التي تريد الطائفة الاثني عشرية أن تستميلها فقد منحت ثلاثة آلاف طالب من اليمن ليدرسوا في إيران وتخص منهم من ينتمي إلى البيت الهاشمي بواسطة المركز الثقافي الإيراني في اليمن، وأخطر من ذلك وإن كان هذا خطراً ما صرحت به مصادر من صعدة قصر الحوثي وجماعته أنه يتبعه ستة آلاف مركز دعائي للدعوة الزيدية، وشيء ثالث جماعة البهرة أو الباطنية الذين أنفقوا على اليمن بمؤسساتهم الإنشائية، وتنظيم صفوفهم بصفة سرية يعملون على إعادة حكم الفاطميين الذي كان في اليمن في القرن الثالث والرابع الهجري وقاعدته جبلة.

٥- حرية الرأي ومجال الكلمة: أطلقت الحكومة على نفسها لقب الديمقراطية ليحكم الشعب نفسه عن طريق الكلمة والاختيار فلذا عجت جميع الاتجاهات إلى إصدارات الصحف والمجلات والنشرات والدوريات وطبع الكتب ليعبر كل عن آرائه وتوجهاته بلسان القلم ويطلب تحقيقه تجاوزت الصحف أربعين صحيفة سيارة يومية وأسبوعية مع ضعف الإمكانيات الاستيعابية لمشكلات المجتمع الأساسية يتضح ذلك بضعف الإخراج وسهولة النقد غير المركز وبساطة التسعير غير أن الصحافة الرسمية كصحيفة الثورة هي أكثر انتشاراً وأقدر على الإخراج أضف إلى ذلك خطباء الجمعة والدعاة المجهولين فلا رقابة عليهم وليس لهم رابطة في وزارة



الشؤون الدينية إذ المساجد كلها أو جلها على نفقة المواطن وبجهود الجمعيات الخيرية والفرد المحتسب فلا سلطة إدارية على المساجد في اليمن وقد حاولوا معالجة الأمر بافتتاح معهد عالي للتوجه والإرشاد بالتعاون مع الأزهر ليسد فجوة الخلاف بين ما عليه الشعب من ثقافات متعددة وما تريده الدولة، وقد راجت نظرية الديمقراطية العلمانية والليبرالية في اليمن وبالأخص في المحيط الشبابي، وإن كانت المرأة اليمنية بخير فلا سفور ولا اختلاط ولا عهر ولا دعارة ولا مراقص وسمر ولا كؤوس تدار في السحر، والشعب اليمني متدين بطبعه يسعى في معيشتة والعمل الصالح نفسه ولجويعته.

- القات في كل الأوقات بالأخص بعد الظهر تنفتح الأشداق ويصعب الكلام، لا أدري كيف أطبق اليمنيون أو الكثير منهم على هذه الظاهرة السيئة ومما يقولون: إنه مر لا لذة فيه ولا حلاوة، ويرتفع ثمنه ويقل حسب الجودة والرداءة.

- الحجاب قد لا يصح أن نسميه ظاهرة؛ لأنه تعبد وطاعة لله، ومع أن المرأة في جنوب اليمن تشارك في الأعمال بحجابها وسترها في الفندق وتنظيف الشوارع من الجنس الأسود، وقد سرنني حيث رأيت شخصاً له اهتمام بالجنس الأسود بالأخص الأطفال منهم بالرعاية والتعليم لإصلاح حالهم، خلال مشاهدتي لاحظت أن المرأة في اليمن الجنوبي تخاطب الرجال بكل انفتاح وأدب بخلاف المرأة في الشمال فإنها في الشوارع العامة وفي الحافلات كل في سبيله.

- حرية الأديان والمذاهب في القديم والحديث: تعترك المذاهب والديانات القبائل والأنساب والطوائف في اليمن، فبعد دخول الإنجليز كانت عدا للديانات الآسيوية الهندية ومنها النصرانية الهندوكية والمجوسية غير أنه لا تظهر غير الكنائس وطوائف أخرى كالدهرة، وجل اليمنيين هم المسلمون على المذهب الشافعي والزيدي إلا أن الثورة الإيرانية وبواسطة مركزها الثقافي في صنعاء يحاول جاهداً لربط الزيدية بالإمامة الاثني عشرية مع وجود فوارق أصولية في المذهبين ولاشك أن الزيدية تضيق الفوارق بينهم وبين أهل السنة لو أن جمهورهم معتزلة، ويقولون بتقديم علي على الشيخين وللفادة وإتمام الإيضاح أختم القول بالفوارق بين المذهبين.

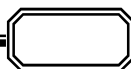
الفوارق بين الزيدية والإمامية الاثني عشرية:

- القول بتحريف القرآن، الزيدية كبقية المسلمين يقولون بأن القرآن المو بين أيدينا هو كتاب الله بينما الروافض يقولون بأنه حرف وبدل وزيد فيه ونقص منه.

- القول بكفر الصحابة، يكفر الروافض الصحابة أجمعين كأبي بكر وعمر وعثمان وأمهاة المؤمنين وغيرهم ولا يستثنون إلا خمسة فقط.

- القول بعصمة الأئمة، الروافض يقولون بعصمة الأئمة الاثني عشر بل يقولون بتفضيلهم على الأنبياء والمرسلين ما عدا رسول الله ﷺ أما الزيدية فلا يقولون بعصمتهم وإن كان بعضهم يقول بعصمة علي.

- حصر الإمامة باثني عشر إماماً وقالوا بكفر من لا يؤمن بولايتهم ويكفر من ادعاها من غيرهم كائناً من كان.



- رفض إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، بل تعدى ذلك إلى القول بكفرهما ولعنهما، أما الزيدية فيقولون بصحة إمامتهما.

- التقية، يعتبرها الروافض بمنزلة الصلاة، لا يجوز لأحد أن يتركها قبل خروج مهديهم المزعوم، الزيدية لا يعتبرون التقية إلا في الحالات الضرورية.

٧- خرافة المهدي في السرداب، فالروافض يقولون بأن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر عندهم والذي زعموا أنه ولد عام ٢٥٥هـ ودخل السرداب في غيبة صغرى قرابة ٦٩ عاماً، ثم دخل في غيبة كبرى من عام ٣٢٩هـ واستمرت إلى عصرنا هذا.

٨- مصادر الاستدلال: زعم الروافض أن القرآن حُرِّفَ وَبُدِّلَ وَتُقِصَّ وَأما بالنسبة للسنة فهم لا يأخذون بها ويطعنون في مصادرها كالبخاري ومسلم وبقية أمهات الحديث، أما الزيدية فيأخذون من كتب السنة وإن كان لهم مصادر أخرى كمسند زيد ويقولون بإجماع الأمة.

- تكفير المخالف لهم من المسلمين والقول بـ ه واستباحة ماله ودمه أما الزيدية كغيرهم من المسلمين فلا يكفرون غيرهم إلا بمكفر.

- انفرد الروافض من بين كل الفرق بجوازها ومشروعيتها وخالفهم في ذلك جميع الطوائف وممن خالفهم الزيدية وجميع المذاهب.

١١- التحالف مع أعداء المسلمين ضد المسلمين ولك أن تنظر في التاريخ لتجد ذلك واضحاً في موقف الطوسي وابن العلقمي والتحالف مع التتار ضد الخلافة العباسية أما الزيدية فلا يفعلون ذلك.

١٢- من المرجعيات عند الروافض مخالفة أهل السنة يعني: إذا كان لديهم قول في مسألة فالراجح عندهم القول الذي يخالف المعمول به عند أهل السنة أما الزيدية فلا يقولون ذلك.

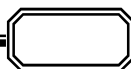
١٣- ومن الفوارق عند الرافضة يقولون بالمسح على الرجلين، ومن هذه الفوارق لا تعني أن الزيدية موافقة لأهل السنة في كل شيء بل إن اتباع المذهب الزيدي يشبه الخطر الرافضي وخطر مبادئه ومعتقداته، إلا أن المسافة بين الزيدية وأهل السنة أقرب من المسافة بين الزيدية والرافضة هذا مع أن جمهور الزيدية معتزلة في معتقداتها ويقولون بتقديم علي على الشيخين ومعظمهم يطعنون في بعض الصحابة كعماوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم لذا وجب الرد على الرافضة وبيان حقيقة المذهب الزيدي لبراءة المذهب الزيدي مما ألصق به من التشويه جعله كالباطنية أو الرافضة ولذا يقلل الباب على الرافضة الذين يتخطفون عوام الزيدية لظنهم الاتفاق بين المذهبين، وكذا اتضح المذاهب للسواد الأعظم وهم أهل السنة وتبيين حقيقة المذهب وأنه بريء من مذهب الروافض.

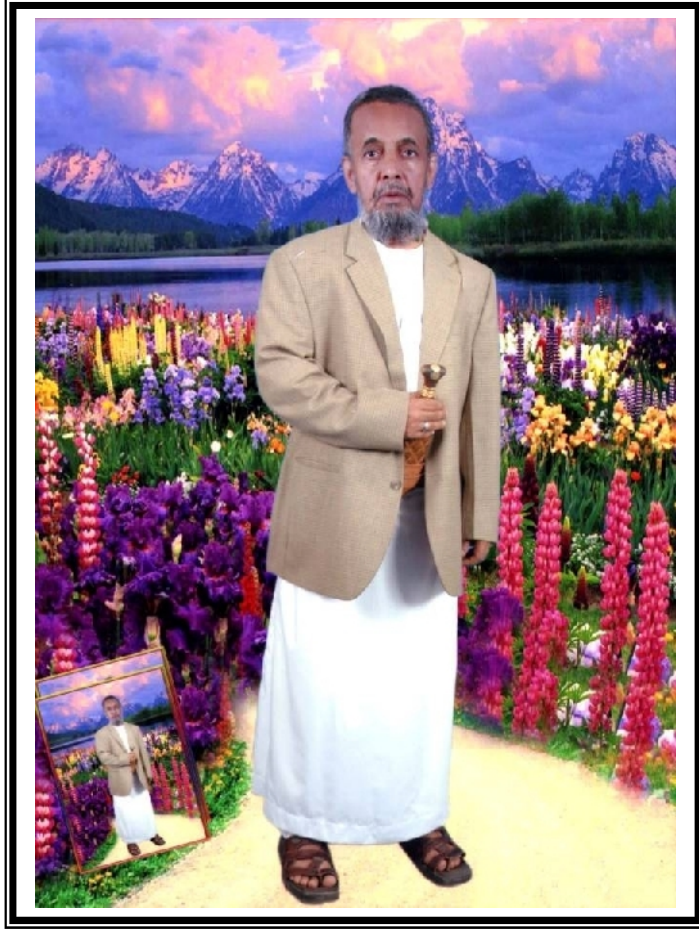
وكذا المشاركة في رد الباطنية المتفق عليه بين أهل السنة والزيدية وغيرها.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أملاه: إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد عتيق

في شهر شعبان ١٤٢٩هـ بمدينة الرياض





إسماعيل بن عتيق في اليمن الشمالي